متون

دورة جامع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

العلمية الصيفية التاسعة عشرة

والمقامة في جامع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

حي الفيصلية - محافظة حفر الباطن - المملكة العربية السعودية

في الفترة

يوم السبت ١٤٤٤/١/٢٢هـ - يوم الخميس ١٤٤٤/٢/٥هـ

(٢٠٢٢/٨/٢٠م - ٢٠٢٢/٩/١م)

متون الدورة

١- فضائل الصحابة من صحيح البخاري | ٢- منظومة القواعد الفقهية للإمام السعدي

٣- القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى | ٤- الأربعون النووية للإمام النووي

٥- مختصر السيرة النبوية لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

٦- القواعدالأربع للإمام محمد بن عبدالوهاب بتعليقات الإمام ابن باز

تنقل عبر الإزاعتين: ميراث الأنبياء وسبيل الأنبياء

miraath.net/radio/1/ aldafiri.com/radio

۞ مقدمة المتون ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين،والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد:

فإن حاجة المسلم للعلم الشرعي أعظم الحاجات، وأشد من حاجته للطعام والشراب، لأن المسلم خلق لطاعة الله وعبادته، وحياته الطيبة الدنيوية والأخروية لا تحصل له إلا بعبادة الله، كما قال تعالى {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون}، ولا يتحقق له ذلك إلا بالعلم، الذي يدل على الإيمان الصحيح وعلى العمل الصالح.

ولهذا فإن الله تعالى حث عباده على العلم فقال عز وجل {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} وحث على ذلك الرسول صل الله عليه وسلم حيث قال {من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين}

يقول الامام المجدد السلفي شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله : [اعلم -رحمك الله - أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ، الأولى : العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الاسلام بالأدلة] يقول الإمام السلفي العلامة عبدالعزيز بن باز رحمة الله عليه : فعلى الإنسان أن يتعلم ويتبصر حتى يكون على بينة ويعرف دين الله الذي خلق من أجله، وهذا العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الاسلام بالأدلة.

وهذه الدورات العلمية السنوية التي تقام في جامع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما تقوم بنشر العلم الشرعي بتدريس بعض الكتب والمتون العلمية .وهذا المتن الذي بين أيدينا للدورة العلمية التاسعة عشرة في هذا الجامع.

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا على صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ د. عبدالله بن صلفيق الظفيري

المشرف على دورة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بمحافظة حفر الباطن

١٨ من شهر الله المحرم ١٤٤٤ هـ

يسر إذاعة سبيل الأنبياء أن تنقل لكم دروس
دورة جامع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بحفر الباطن العلمية الصيفية التاسعة عشرة
[من السبت الموافق ١٤٤٤/١/٢١ إلى يوم الخميس الموافق ١٤٤٤/٢/٥]
المحاضرة الإفتتاحية
فضل العلم والعلماء
د. عبدالله بن حلفي الظفيري
(رقم القسم: ٢٧٤٠٤٣)
بعد مغرب الجمعة الموافق ٢١ من شهر الله المحرم ١٤٤٤
جدول الدروس
الأسبوع الأول
(من السبت ١٤٤٤/١/٢١ إلى الخميس ١٤٤٤/١/٢٧)
فضل الصحابة من صحيح البخاري
د. عبدالله بن حلفي الظفيري
(رقم القسم: ٢٧٤٠٤٤)
بعد الفجر
القواعد الفقهية للإمام السعدي
الشيخ يحيى بن علي النهاري
(رقم القسم: ٢٧١٥٠١)
بعد العصر (من السبت إلى الإثنين)
شرح كتاب القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى
الشيخ د. وليد بن عساف فلاتي
(رقم القسم: ٢٧٤٠٤٠)
بعد العصر (من الثلاثاء إلى الخميس)
شرح الأربعين النووية للإمام النووي
الشيخ أحمد بن يحيى الزهراني
(رقم القسم: ٢٧١٤٩٩)
بعد المغرب
الأسبوع الثاني
(من الجمعة ١٤٤٤/١/٢٨ إلى الخميس ١٤٤٤/٢/٥)
فضل الصحابة من صحيح البخاري
د. عبدالله بن حلفي الظفيري
(رقم القسم: ٢٧٤٠٤٤)
بعد الفجر
ملخص السنة النبوية للإمام محمد بن عبدالوهاب
الشيخ د. عزام بن محمد الزوبعر
(رقم القسم: ٢٧١٤٤٩)
بعد العصر
القواعد الأربع للإمام محمد بن عبدالوهاب
د. عبدالله بن حلفي الظفيري
(رقم القسم: ٢٧٦٨٣٣)
بعد المغرب
قال صلى الله عليه وسلم :لايشكر الله من لا يشكر الناس.
نتقدم بالشكر الجزيل للداعمين للدورة العلمية ومناشط الجامع :
الخليجية للذهب والمجوهرات
العقود

متون

الأسبوع الأول

فضائل الصحابة من صحيح البخاري

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري

(٢٥٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن صلفيق الظفيري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٦٢ ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ

١ ـ باب فضائلِ أصحابِ النبيِّ ﷺ ، ومَنْ صحِب النبيَّ أو رآهُ منَ المسلمين فهو من أصحابِهِ

٣٦٤٩ ـ حدَّثنا عليٌّ بن عبدِ اللهِ حدَّثَنا سفيانُ عن عمرٍو قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما يقولُ: حدَّثَنا أبو سعيدٍ الخُدْريُّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ فيَغزو فِئامٌ من الناس ، فيقولون: فيكم مَنْ صاحبَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيُفتَحُ لهم. ثمَّ يأتي على الناسِ زمانٌ فيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيُقالُ: فيكم مَن صاحَبَ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ فيقولون: نعم ، فيُفتَحُ لهم. ثمَّ يأتي على الناس زمانٌ فيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيقال: هل فيكم مَن صاحَبَ مَنْ صاحَبَ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فيقولون نعم ، فيُفْتحُ لهم».

[انظر الحديث: ٢٨٩٧ ، ٣٥٩٤].

٣٦٥٠ - حدَّثنا إسحاقُ حدَّثَنا النَّضْرُ أخبرَنا شُعبة عن أبي جَمرةَ سمعتُ زَهدَمَ بنَ مُضرِّبٍ قال: سمعتُ عِمرانَ بنَ حُصَينٍ رضيَ اللهُ عنهما يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خيرُ أمَّتي قَرني، ثمَّ الذينَ يَلونهم، ثمَّ الذين يَلونهم. قال عِمرانُ: فلا أدري أذكرَ بعدَ قرنهِ قَرنين أو ثلاثاً. ثمَّ إنَّ بَعْدَكم قوماً يَشهدون ولا يُستَشهدون ويخونون ولا يُؤْتَمنون، ويَنذُرون ولا يَفون، ويَظهر فيهمُ السِّمَن». [انظر الحديث: ٢٦٥١].

٣٦٥١ - حدَّثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرَنا سُفيانُ عن منصورٍ عن إبراهيمَ عن عَبِيدةَ عن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خيرُ الناسِ قَرني، ثمَّ الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونَهم، ثمَّ يجِيء قومٌ تَسبقُ شهادةُ أحدِهم يَمينَه، ويَمينهُ شهادتَه». قال: قال إبراهيم: وكانوا يَضربوننا على الشهادةِ والعهدِ ونحن صغار. [انظر الحديث: ٢٦٥٢].

---

٢ ـ باب مناقِبِ المهاجرينَ وفضلِهم

منهم أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بن أبي قُحافة التَّيميُّ رضيَ اللهُ عنه

وقولِ اللهِ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] وقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] قالت عائشةُ وأبو سعيدٍ وابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهم: «وكان أبو بكرٍ مع النبيِّ ﷺ في الغار».

٣٦٥٢ ـ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن رجاءٍ حدَّثَنا إسرائيلُ عن أبي إسحاقَ عنِ **البَراءِ** قال: «اشترىٰ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ من عازِبٍ رَحلاً بثلاثةَ عشرَ دِرهماً، فقال أبو بكرٍ لعازب: مُرِ البراءَ فلْيَحملْ إليَّ رَحلي، فقال عازبٌ: لا، حتَّى تُحدِّثَنا كيفَ صَنعتَ أنت ورسولُ اللهِ ﷺ حينَ خَرَجتُما من مكةَ والمشرِكونَ يَطلبونكم. قال: ارتحلنا من مكةَ فأحيَيْنا ـ أو سَرَينا ـ لَيلَتنا ويومَنا حتَّى أظهَرْنا وقامَ قائمُ الظهيرة، فرمَيتُ ببَصري هل أرى مِن ظلٍّ فآوِي إليه، فإذا صَخرةٌ أتيتُها، فنظرتُ بَقيةَ ظِلٍّ لها فسَوَّيتهُ، ثمَّ فرَشتُ للنبيِّ ﷺ فيهِ، ثمَّ قلتُ له: اضْطَجعْ يا نبيَّ الله، فاضطجَعَ النبيُّ ﷺ، ثمَّ انطلقت أنظرُ ما حَولي: هل أرى منَ الطَّلبِ أحداً؟ فإذا أنا براعي غَنم يَسوقُ غنمَهُ إلى الصخرةِ، يُريدُ منها الذي أردنا، فسألتهُ فقلتُ له: لمن أنت يا غلامُ؟ فقال لرجُلٍ من قُرَيشٍ سمَّاهُ فعرَفتهُ، فقلت: هل في غَنَمكَ مِن لَبَن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالِب لنا؟ قال: نعم. فأمَرتهُ فاعتَقَلَ شاةً من غَنمه، ثمَّ أمرتهُ أن يَنفُضَ ضَرْعها منَ الغُبار، ثمَّ أمرته أن يَنفُضَ كفَّيه فقال هٰكذا، ضرَبَ إحدَى كفَّيهِ بالأخرىٰ فحَلَبَ لي كُثبةً مِن لبَن، وقد جعلت لرسولِ اللهِ ﷺ إداوة على فمها خِرقةٌ، فصَبَبْت على اللبنَ حتى برَدَ أسفلهُ، فانطلقتُ بهِ إلى النبيِّ ﷺ فوافقتُهُ قدِ استيقظ، فقلت: اشرَب يا رسولَ الله، فشرِبَ حتىٰ رضيت، ثمَّ قلت: قد آنَ الرَّحيلُ يا رسولَ اللهِ، قال: بَلىٰ، فارتحَلْنا والقومُ يَطلبوننا، فلم يُدركْنا أحدٌ منهم غيرُ سُراقة بنِ مالكِ بنِ جُعْشُم على فَرَسٍ له، فقلتُ: هٰذا الطَّلَبُ قد لَحِقَنا يا رسول اللهِ، فقال: لا تحزَنْ، إنَّ اللهَ معنا». ﴿تُرِيحُونَ﴾ بالعَشيِّ، ﴿تَسْرَحُونَ﴾ بالغداة. [انظر الحديث: ٢٤٣٩، ٣٦١٥].

٣٦٥٣ ـ حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدَّثَنا همامٌ عن ثابت عن أنسٍ عن **أبي بكرٍ** رضيَ اللهُ عنه قال: «قلت للنبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ: لو أنَّ أحدَهم نظرَ تحت قَدَمَيهِ لأبصَرَنا. فقال: ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهما». [الحديث ٣٦٥٣ ـ طرفاه في: ٣٩٢٢ ، ٤٦٦٣].

---

٣ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ: «سدُّوا الأبوابَ إلا بابَ أبي بكرٍ» قاله ابنُ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ

٣٦٥٤ ـ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن محمدٍ حدَّثَنا أبو عامرٍ حدَّثَنا فُلَيحٌ قال: حدَّثني سالم أبو النَّضْرِ عن بُسْرِ بنِ سعيد عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: «خَطبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ وقال: إنَّ الله خَيَّر عبداً بين الدُّنيا وبينَ ما عنده ، فاختار ذٰلك العبدُ ما عندَ الله. قال: فبكىٰ أبو بكرٍ ، فَعَجِبْنا لبُكائهِ أنْ يُخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خُيِّر ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو المخيَّر ، وكان أبو بكرٍ أعلَمنا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبته ومالهِ أبو بكر ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خَليلاً غير ربي لاتخذتُ أبا بكر ، ولٰكنْ أُخُوَّة الإسلام ومَودَّته ، لا يَبقَينَّ في المسجدِ بابٌ إلا سُدَّ ، إلا بابَ أبي بكر». [انظر الحديث: ٤٤٦].

---

٤ ـ باب فضلِ أبي بكرٍ بعدَ النبيِّ ﷺ

٣٦٥٥ ـ حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ عبدِ الله حدَّثَنا سُليمانُ عن يحيىٰ بنِ سعيدٍ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: «كُنَّا نخيرُ بينَ الناسِ في زمنِ النبيِّ ﷺ فنُخيرُ أبا بكر ، ثمَّ عمرَ بن الخطَّابِ ، ثمَّ عثمانَ بنَ عَفَّانَ رضيَ اللهُ عنهم». [الحديث: ٣٦٥٥ ـ طرفه في: ٣٦٩٧].

---

٥ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ: «لو كنتُ متخذاً خليلاً» قاله أبو سعيد

٣٦٥٦ ـ حدَّثنا مُسلمُ بن إبراهيمَ حدَّثَنا وُهَيبٌ حدَّثَنا أيوبُ عن عِكرمةَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «لو كنتُ مُتَّخذاً خَليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر ، ولكن أخي وصاحبي». [انظر الحديث: ٤٦٧].

٣٦٥٧ ـ حدَّثنا مُعلَّى بنُ أسدٍ وموسىٰ بنُ إسماعيلَ التَّبوذكيُّ قالا: حدَّثَنا وُهَيبٌ عن أيوبَ وقال: «لو كنتُ مُتَّخذاً خَليلاً لاتَّخذتُه خليلاً ، ولٰكن أُخوةُ الإسلام أفضل».

حدَّثنا قُتَيبةُ حدَّثَنا عبدُ الوهابِ عن أيوبَ . . . مثلَه. [انظر الحديث: ٤٦٧ ، ٣٦٥٦].

٣٦٥٨ ـ حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ أخبرَنا حمَّادُ بن زيدٍ عن أيوبَ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي مُلَيْكةَ قال: كتب أهلُ الكوفةِ إلى ابن الزُّبَيرِ في الجَدِّ ، فقال: أما الذي قال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ متَّخذاً من هٰذِه الأمَّةِ خليلاً لاتَّخذتُه ، أنزَلهُ أباً ، يعني: أبا بكر».

٣٦٥٩ ـ حدَّثنا الحُميديُّ ومحمدُ بن عبدِ الله قالا: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ عن أبيه عن محمدِ بن جُبَيرِ بن مُطعِم عن أبيهِ قال: «أَتَتِ امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرَها أن ترجِعَ إليه ، قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدْكَ ـ كأنها تقول الموتَ ـ قال ﷺ: إن لم تجدِيني فَأْتِي أبا بكرٍ».

[الحديث ٣٦٥٩ ـ طرفه في: ٧٣٦٠].

٣٦٦٠ ـ حدَّثني أحمدُ بن أبي الطيب حدَّثَنا إسماعيلُ بن مُجالدٍ حدَّثَنا بَيانُ بن بِشْرٍ عن وَبَرة بن عبد الرحمٰنِ عن همامٍ قال: سمعتُ عَمَّاراً يقول: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ وما معهُ إلا خمسةُ أعبُدٍ وامرأتان وأبو بكرٍ». [الحديث ٣٦٦٠ ـ طرفه في: ٣٨٥٧].

٣٦٦١ ـ حدَّثنا هشامُ بن عمَّارٍ حدَّثَنا صدَقةُ بن خالدٍ حدَّثَنا زيدُ بن واقدٍ عن بُسرِ بن عبيدِ الله عن عائذِ اللهِ أبي إدريسَ عن أبي الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنه قال: «كنتُ جالساً عندَ النبيِّ ﷺ ، إذ أقبَلَ أبو بكرٍ آخذاً بطرَفِ ثوبه حتىٰ أبدىٰ عن ركبتهِ ، فقال النبيُّ ﷺ: أمَّا صاحِبُكم فقد غامَرَ ، فسلَّم وقال: يا رسولَ الله ، إني كان بيني وبينَ ابن الخطابِ شيءٌ ، فأسرعْتُ إليه ثمَّ نَدِمتُ ، فسألته أن يَغفِرَ لي فأبىٰ عليَّ ، فأقبلتُ إليك. فقال: يَغفرُ اللهُ لك يا أبا بكر (ثلاثاً). ثمَّ إنَّ عمرَ ندِمَ ، فأتىٰ منزلَ أبي بكر فسألَ: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتىٰ إلى النبيِّ ﷺ ، فجعلَ وَجهُ النبيِّ ﷺ يَتمعَّرُ ، حتى أشفقَ أبو بكرٍ فَجثا على رُكبتَيهِ فقال: يا رسولَ اللهِ ، واللهِ أنا كنتُ أظلمَ (مرَّتَين). فقال النبيُّ ﷺ: إنَّ اللهَ بَعثني إليكم ، فقلتم: كذبتَ ، وقال أبو بكرٍ: صدقَ ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تارِكو لي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذِيَ بعدَها». [الحديث ٣٦٦١ـ طرفه في: ٤٦٤٠].

٣٦٦٢ ـ حدَّثنا مُعلَّىٰ بنُ أسدٍ حدَّثَنا عبدُ العزيز بن المختار قال خالدٌ الحذَّاء: حدَّثَنا عن أبي عثمان قال: «حدَّثني عمرُو بن العاص رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتهُ فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ: منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً». [الحديث ٣٦٦٢ـ طرفه في: ٤٣٥٨].

٣٦٦٣ ـ حدَّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعَيبٌ عنِ الزُّهريِّ قال: أخبرَني أبو سَلمةَ بن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوف أنَّ أبا هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: بَينما راعٍ في غَنمهِ عَدا عليه الذِّئبُ فأخذَ منها شاة ، فطلبَهُ الراعي ، فالتفتَ إليهِ الذِّئبُ فقال: مَن لها يومَ السبُع ، يومَ ليس لها راعٍ غيري؟ وبينما رجلٌ يَسوقُ بقرةً قد حملَ عليها ، فالتفَتَتْ إليه فكلمَتْهُ فقالت: إني لم أُخلقْ لهذا ، ولكنِّي خُلِقتُ للحرْثِ. فقال الناسُ: سُبحان الله ، قال النبيُّ ﷺ: فإني أُومِنُ بذٰلكَ وأبو بكر وعمرُ بنُ الخطابِ. رضيَ اللهُ عنهما».

[انظر الحديث: ٢٣٢٤ ، ٣٤٧١].

٣٦٦٤ ـ حدَّثنا عَبْدانُ أخبرَنا عبدُ اللهِ عن يُونُسَ عن الزهريِّ قال: أخبرني ابنُ المسيّبِ سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «بينا أنا نائمٌ رأيتُني على قَليبٍ عليها دَلوٌ ، فنزَعتُ منها ما شاءَ الله. ثمَّ أخذها ابنُ أبي قُحافةَ فنزعَ بها ذَنوباً أو ذَنوبَين ، وفي نَزْعهِ ضعفٌ ، واللهُ يَغفرُ له ضَعفَه. ثم استحالَتْ غَرباً فأخذها ابنُ الخطَّاب، فلم أَرَ عَبقرِياً منَ الناسِ يَنزِعُ نَزْعَ عمر، حتىٰ ضربَ الناسُ بعطَن». [الحديث ٣٦٦٤ ـ أطرافه في: ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥].

٣٦٦٥ ـ حدَّثنا محمدُ بن مُقاتلٍ أخبرَنا عبدُ اللهِ أخبرَنا موسىٰ بنُ عقبةَ عن سالمِ بنِ عبدِ الله عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ لم يَنظرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ. فقال أبو بكر: إنَّ أحدَ شقَّي ثَوبي يَسترخي، إلا أن أتعاهَدَ ذٰلك منه. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّكَ لستَ تصنَعُ ذلك خُيلاءَ» قال موسىٰ: فقلتُ لسالم أذَكرَ عبدُ اللهِ: «مَنْ جَرَّ إزارَه»؟ قال: لم أسمعْهُ ذكرَ إلا «ثوبه». [الحديث ٣٦٦٥ ـ أطرافه في: ٥٧٨٣، ٥٧٨٤، ٥٧٩١، ٦٠٦٢].

٣٦٦٦ ـ حدَّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعيبٌ عنِ الزُّهريِّ قال: أخبرَني حُمَيدُ بن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ أنَّ أبا هُريرةَ قال: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: مَنْ أنفقَ زَوجَينِ مِنْ شيءٍ مِنَ الأشياءِ في سبيل الله دُعِيَ من أبوابِ ـ يعني الجنةَ ـ يا عبدَ الله هٰذا خيرٌ. فمن كان من أهلِ الصلاةِ دُعي من بابِ الصلاةِ، ومن كان من أهلِ الجهادِ دُعيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدَقةِ دُعيَ من بابِ الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من بابِ الصيام وبابِ الرَّيَّان. فقال أبو بكرٍ: ما على هٰذا الذي يُدعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورة. وقال: هل يُدعىٰ منها كلِّها أحدٌ يا رسولَ الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر».

٣٦٦٧ ـ حدَّثنا إسماعيلُ بن عبدِ الله حدَّثَنا سليمانُ بنِ بلالٍ عن هشام بن عُروةَ قال: أخبرَني عُروةُ بن الزُّبيرِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوجِ النبيِّ ﷺ: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مات وأبو بكرٍ بالسَّنْح ـ قال إسماعيلُ: يعني بالعالية ـ فقام عمرُ يقول: والله ما مات رسولُ اللهِ ﷺ. قالت: وقال عمرُ: والله ما كان يقعُ في نفسي إلا ذاك، ولَيَبعثَنَّهُ اللهُ فلَيقطعَنَّ أيديَ رجالٍ وأرجُلَهم. فجاء أبو بكرٍ فكشفَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فقبَّلهُ فقال: بأبي أنتَ وأُمي، طِبتَ حيًّا ومَيْتاً، والذي نَفسي بيدِه لا يُذيقُكَ اللهُ الموتَتين أبداً. ثمَّ خرج فقال: أيُّها الحالفُ، على رِسْلِكَ. فلمّا تكلَّم أبو بكرٍ جَلَسَ عمر». [انظر الحديث: ١٢٤١].

٣٦٦٨ ـ «فحمِدَ اللهَ أبو بكر وأثنىٰ عليه وقال: ألا مَن كان يَعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كانَ يَعبُدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشَجَ الناسُ يَبكون. قال: واجتمعتِ الأنصارُ إلى سعد بن عُبادةَ في سقيفةِ بني ساعِدة فقالوا: منّا أميرٌ ومنكم أمير، فذَهَبَ إليهم أبو بكرٍ وعمرُ بن الخطَّاب وأبو عبيدةَ بنُ الجَرَّاح، فذهبَ عمرُ يتكلَّم، فأسكتَهُ أبو بكرٍ، وكان عمرُ يقول: واللهِ ما أردتُ بذٰلكَ إلاَّ أني قد هيَّأتُ كلاماً قد أعجَبَني خشيتُ أن لا يَبلغَهُ أبو بكر. ثمَّ تكلم أبو بكرٍ فتكلم أبلغَ الناس، فقال في كلامه: نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوُزراء. فقال حُباب بن المنذِر: لا والله لا نَفعلُ، منّا أميرٌ ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنَّا الأمراءُ وأنتمُ الوُزراء. ثم أوسَطُ العرَبِ داراً وأعرَبُهم أحساباً، فبايِعوا عمرَ أو أبا عُبَيدة. فقال عمرُ: بل نُبايعُكَ أنتَ، فأنتَ سيِّدُنا وخَيْرُنا وأحبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ: فأخذَ عمرُ بيدِهِ فبايعَهُ وبايعَهُ الناس. فقال قائل: قَتلتم سعدَ بنَ عُبادة، فقال عمرُ: قَتَلَهُ الله». [انظر الحديث: ١٢٤٢].

٣٦٦٩ ـ وقال عبدُ اللهِ بنُ سالمٍ عن الزُّبَيدِيِّ قال عبدُ الرحمٰنِ بن القاسم: أخبرَني القاسمُ أنَّ عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «شَخَصَ بَصَرُ النبيِّ ﷺ ثم قال: في الرَّفيقِ الأعلىٰ (ثلاثاً) وقصَّ الحديثَ. قالت: فما كان من خُطبتهما من خُطبةٍ إلا نفعَ اللهُ بها، لقد خَوَّف عمرُ الناسَ وإنَّ فيهم لنِفاقاً فردَّهمُ اللهُ بذلك». [انظر الحديث: ١٢٤١، ٣٦٦٧].

٣٦٧٠ ـ «ثمَّ لقد بَصَّرَ أبو بكرٍ الناسَ الهُدَى، وعرَّفَهمُ الحقَّ الذي عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾.

[انظر الحديث: ١٢٤٢، ٣٦٦٨].

٣٦٧١ ـ حدَّثنا محمدُ بن كثيرٍ أخبرَنا سفيانُ حدَّثنا جامعُ بن أبي راشدٍ حدَّثَنا أبو يَعلىٰ عن محمدِ بنِ الحنَفيةِ قال: «قلتُ لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلتُ: ثم مَنْ؟ قال: ثمَّ عمرُ. وخشيتُ أن يقول عثمانُ، قلتُ: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلَّا رجُلٌ منَ المسلمين».

٣٦٧٢ ـ حدَّثنا قُتَيبةُ بْنُ سعيدٍ عن مالكٍ عن عبدِ الرحمٰنِ بن القاسم عن أبيهِ عن **عائشةَ** رضيَ اللهُ عنها أنها قالت: «خرَجنا مع رسول اللهِ ﷺ في بعضِ أسفارِهِ ، حتىٰ إذا كنا بالبَيداءِ ـ أو بذاتِ الجيش ـ انقطَعَ عِقدٌ لي ، فأقام رسولُ اللهِ ﷺ على التماسِهِ ، وأقامَ الناسُ معَه ، وليسوا على ماء ، وليس معَهم ماء. فأتىٰ الناسُ أبا بكرٍ فقالوا: ألا ترَىٰ ما صنَعَتْ عائشة؟ أقامت برسولِ اللهِ ﷺ وبالناسِ معَهُ ، وليسوا على ماء ، وليسَ معَهم ماء. فجاءَ أبو بكرٍ ورسولُ اللهِ ﷺ واضِعٌ رأسَهُ على فَخِذِي قد نام ، فقال: حبَستِ رسولَ اللهِ ﷺ والناسَ وليسوا على ماءٍ وليسَ معَهم ماء. قالت: فعاتَبني وقال ما شَاءَ اللهُ أن يقول ، وجعلَ يَطعنُني بيدِهِ في خاصرَتي فلا يَمنعني منَ التحرُّكِ إلا مكان رسولِ اللهِ ﷺ على فَخذي ، فنامَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى أصبحَ على غير ماء ، فأنزَلَ اللهُ آية التيمُّمِ ﴿**فَتَيَمَّمُوا**﴾ [النساء: ٤٣] ، فقال أُسَيدُ بن الحضير: ما هيَ بأوَّلِ بركتِكم يا آلَ أبي بكر ، فقالت عائشةُ: فبَعثنا البعيرَ الذي كنتُ عليهِ فوجَدْنا العِقدَ تحتَه». [انظر الحديث: ٣٣٤ ، ٣٣٦].

٣٦٧٣ ـ حدَّثنا آدمُ بن أبـي إياسٍ حدَّثنا شُعبةُ عنِ الأعمشِ قال: سمعتُ ذَكوانَ يُحدِّثُ عن أبي **سعيدٍ الخُدريِّ** رضيَ اللهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا تَسبُّوا أصحابي ، فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه». تابعَهُ جريرٌ وعبدُ اللهِ بن داودَ وأبو مُعاويةَ ومُحاضرٌ عن الأعمش.

٣٦٧٤ ـ حدَّثنا محمدُ بن مِسكينٍ أبو الحسن حدَّثَنا يحيىٰ بن حسَّانَ حدَّثَنا سُليمانُ عن شَريكِ بن أبي نَمِرٍ عن سعيدِ بن المسيَّبِ قال: «أخبرَني أبو موسىٰ الأشعريُّ أنه توضَّأَ في بيتهِ ثمَّ خرَجَ فقلتُ: لأَلزمنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ولأكونن معَهُ يومي هٰذا. قال: فجاءَ المسجدَ فسألَ عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووَجَّهَ هاهنا، فخرجتُ على إثرِهِ أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ، فجلستُ عندَ الباب ـ وبابُها من جَريد ـ حتى قضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ حاجَتَهُ فتوضأ، فقمتُ إليه، فإذا هوَ جالس على بئرِ أريسٍ وتَوسَّط قُفَّها وكشفَ عن ساقَيهِ ودَلَّاهما في البئر، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ فجلستُ عندَ الباب فقلت: لأكونَنَّ بَوابَ رسولِ اللهِ ﷺ اليومَ، فجاءَ أبو بكرٍ فدَفعَ البابَ، فقلتُ: مَنْ هٰذا؟ فقال: أبو بكر. فقلتُ: على رِسلِكَ، ثم ذهبتُ فقلت: يا رسولَ اللهِ هذا أبو بكر يَستأذِن، فقال: ائذَنْ له وبشِّرْهُ بالجنة. فأقبلتُ حتىٰ قلتُ لأبي بكر: ادخُلْ ورسولُ اللهِ ﷺ يبشِّرُكَ بالجنة. فدخلَ أبو بكرٍ فجلسَ عن يمين رسولِ اللهِ ﷺ معَهُ في القُفِّ ودلَّى رِجليهِ في البئر كما صنعَ النبيُّ ﷺ وكشفَ عن ساقيهِ. ثم رجَعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُرِدِ اللهُ بفلانٍ خيراً ـ يريدُ أخاهُ ـ يأتِ بهِ. فإذا إنسانٌ يُحرِّكُ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بنُ الخطَّاب، فقلت على رِسْلك ثم جئت إلى رسولِ اللهِ ﷺ فسلمتُ عليه فقلتُ: هذا عمرُ بن الخطاب يَسْتأذِنُ. فقال: ائذَنْ لهُ وبشِّرْهُ بالجنة. فجئتُ فقلت: ادخلْ وبشَّرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنَّةِ. فدخلَ فجلسَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ في القُفِّ عن يَسارِهِ ودلىٰ رِجليه في البئر. ثم رجعت فجلستُ فقلت: إن يُرِدِ اللهُ بفلانٍ خيراً يأتِ به، فجاء إنسانٌ يُحرِّكُ البابَ، فقلت: مَنْ هذا؟ فقال: عثمانُ بن عَفَّانَ فقلت: على رِسلِكَ. فجئت إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرتهُ، فقال: ائذَن له وبشِّرْهُ بالجنةِ على بَلْوَىٰ تُصيبهُ، فجئتهُ فقلت له: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجنةِ على بَلوَىٰ تُصيبُك. فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد ملىءَ، فجلسَ وجاهَهُ منَ الشقِّ الآخر. قال شَريكُ بن عبدِ اللهِ: قال سعيدُ بن المسيَّب: فأوَّلتها قبورَهم».

[الحديث ٣٦٧٤ـ أطرافه في: ٣٦٩٣، ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٧٠٩٧، ٧٢٦٢].

٣٦٧٥ - حدَّثني محمدُ بن بَشَّارٍ حدَّثَنا يحيىٰ عن سعيدٍ عن قَتادةَ أنَّ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه حدَّثهم: «أن النبيَّ ﷺ صعِدَ أُحُداً وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرَجَفَ بهم، فقال: اثبُتْ أُحُدُ، فإن عليك نَبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدان». [الحديث ٣٦٧٥ ـ طرفاه في: ٣٦٨٦، ٣٦٩٩].

٣٦٧٦ ـ حدَّثني أحمدُ بن سعيدٍ أبو عبدِ اللهِ حدَّثَنا وَهبُ بن جَريرٍ حدَّثَنا صخرٌ عن نافعٍ أن عبدَ اللهِ بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «بينما أنا على بئرٍ أنزعُ منها جاءني أبو بكرٍ وعمرُ، فأخذَ أبو بكرٍ الدَّلوَ فنزَعَ ذَنوباً أو ذَنوبَين، وفي نَزْعهِ ضَعف، واللهُ يغفِرُ له. ثمَّ أخذَها ابنُ الخطاب من يَد أبي بكرٍ فاستحالتْ في يدِهِ غَرْباً، فلم أرَ عَبْقَرِيَّاً من الناسِ يَفرِي فَريَّه، فنزَعَ حتى ضربَ الناسُ بعَطَن».

قال وَهب: العَطَنُ مَبْرَكُ الإبل، يقول: حتىٰ رويَتِ الإبلُ فأناخَتْ. [انظر الحديث: ٣٦٣٣].

٣٦٧٧ - حدَّثنا الوَليدُ بن صالحٍ حدَّثَنا عيسىٰ بن يونسَ حدَّثَنا عمرُ بن سعيد بن أبي الحسينِ المكيُّ عنِ ابنِ أبي مُليكةَ عن ابنِ عبَّاس رضيَ الله عنهما قال: «إني لَواقفٌ في قومٍ فدَعَوُا اللهَ لعمرَ بن الخَطَّابِ ـ وقد وُضِعَ على سَريرهِ ـ إذا رجُلٌ من خَلفي قد وَضعَ مِرفَقَهُ علىٰ مَنكِبي يقول: رحمَكَ الله، إنْ كنتُ لأرجو أن يَجعلَكَ اللهُ معَ صاحبَيك، لأني كثيراً ما كنتُ أسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولَ: كنتُ وأبو بكر وعمرُ، وفعلتُ وأبو بكرٍ وعمر، وانطلَقْتُ وأبو بكرٍ وعمر، فإن كنتُ لأرجو أن يَجعلَكَ اللهُ معَهما. فالتفتُّ فإذا هوَ عليُّ بن أبي طالب». [الحديث ٣٦٧٧ ـ طرفه في: ٣٦٨٥].

٣٦٧٨ - حدَّثنا محمدُ بن يزيدَ الكوفيُّ حدَّثَنا الوليدُ عنِ الأوزاعيِّ عن يحيىٰ بن أبي كثيرٍ عن محمدِ بن إبراهيمَ عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ قال: سألتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو عن أشدِّ ما صَنعَ المشركونَ برسولِ الله ﷺ، قال: رأيتُ عُقبةَ بنَ أبي مُعيطٍ جاء إلى النبيِّ ﷺ وهو يُصلِّي، فوضَعَ رِداءَ في عُنقهِ فخنقَهُ به خَنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتىٰ دَفعَهُ عنه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

[الحديث ٣٦٧٨ ـ طرفاه في: ٣٨٥٦، ٤٨١٥].

٦ ـ باب مَناقِبِ عمرَ بنِ الخطَّابِ أبي حفصٍ القُرَشيِّ العَدَويّ رضي الله عنه

٣٦٧٩ ـ حدَّثنا حَجَّاجُ بن مِنهالٍ حدَّثنا عبدُ العزيز بن الماجشونِ حدَّثَنا محمدُ بن المنكدِر عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاء امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خَشفةً فقلتُ: مَنْ هٰذا؟ فقال: هٰذا بلال. ورأيتُ قصراً بِفِنائهِ جاريةٌ فقلت: لمن هٰذا؟ فقال: لعمَر. فأردتُ أن أدخلَهُ فأنظُرَ إليه، فذكرتُ غَيرتَكَ. فقال عمرُ: بأبي وأمّي يا رسولَ الله. أعليكَ أغار»؟

[الحديث ٣٦٧٩ ـ طرفاه في: ٥٢٢٦، ٧٠٢٤].

٣٦٨٠ ـ حدَّثنا سعيدُ بن أبي مريمَ أخبرَنا الليثُ قال: حدَّثني عُقَيل عنِ ابنِ شهابٍ قال: أخبرَني سعيدُ بنُ المسيَّبِ أنَّ أبا هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «بَينا نحنُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتُني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلى جانبِ قصرٍ، فقلت: لمن هٰذا القصرُ؟ قالوا: لعمرَ، فذكرتُ غيرتَهُ فولَّيتُ مُدبراً. فبكىٰ عمرُ وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ اللهِ»؟ [انظر الحديث: ٣٢٤٢].

٣٦٨١ ـ حدَّثنا محمدُ بن الصَّلْتِ أبو جعفرٍ الكوفيُّ حدَّثَنا ابنُ المباركِ عن يونُسَ عن الزُّهريِّ قال: أخبرَني حمزةُ عن أبيهِ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «بَينا أنا نائمٌ شربتُ ـ يعني اللَّبن ـ حتى أنظرُ إلى الرِّيِّ يَجرِي في ظُفُري ـ أو في أظفاري ـ ثم ناولتُ عمرَ. قالوا: فما أوَّلتَهُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: العِلم». [انظر الحديث: ٨٢].

٣٦٨٢ ـ حدَّثنا محمدُ بن عبدِ اللهِ بن نمَيرٍ حدَّثنا محمدُ بن بِشرٍ حدَّثنا عُبَيدُ اللهِ قال: حدَّثني أبو بكرِ بن سالمٍ عن سالمٍ عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُرِيتُ في المنامِ أني أنزِعُ بدَلوِ بَكرةٍ عَلَى قَليبٍ ، فجاءَ أبو بكرٍ فنزَعَ ذَنوباً أو ذَنوبَين نَزعاً ضَعيفاً واللهُ يَغفِرُ له . ثمَّ جاءَ عمرُ بن الخطَّابِ فاستحالت غَرْباً ، فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفرِي فَريَّه ، حتىٰ رَوِيَ الناسُ وضرَبَوا بعطَن» . قال ابنُ جُبَير: العبقريُّ: عِتاقُ الزَّرابيّ . وقال يحيىٰ: الزاربيُّ: الطنافِسُ لها خَملٌ رقيق . ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: كثيرة . [انظر الحديث: ٣٦٣٣ ، ٣٦٧٦].

٣٦٨٣ ـ حدَّثنا عليُّ بن عبدِ الله حدَّثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ قال: حدَّثني أبي عن صالحٍ عنِ ابنِ شهابٍ أخبرَني عبدُ الحميد أنَّ محمدَ بنَ سعدٍ أخبرَهُ أنَّ أباه قال . ح . حدَّثنا عبدُ العزيز بن عبدِ الله حدَّثَنا إبراهيمُ بن سعد عن صالح عن ابن شهابٍ عن عبد الرحمٰنِ بنِ عبدِ الرحمنِ بن زَيدٍ عن محمدُ بن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ عن أبيه قال: «استأذَنَ عمرُ بن الخطابِ على رسولِ اللهِ ﷺ وعندَهُ نِسوةٌ من قريش يُكلِّمنَه ويَستكثِرنَه ، عاليةً أصواتُهنَّ على صَوتهِ فلمّا استأذنَ عمرُ بن الخطاب قمنَ فبادَرنَ الحجابَ ، فأذِن لهُ رسولُ اللهِ ﷺ ، فدخَلَ عمرُ ورسولُ اللهِ ﷺ يَضحكُ؛ فقال: أضحَكَ اللهُ سنَّكَ يا رسولَ اللهِ ، فقال النبيُّ ﷺ: عجِبتُ من هٰؤلاء اللاتي كنَّ عندي ، فلمّا سمعنَ صَوتَكَ ابتدَرْنَ الحجاب . قال عمرُ: فأنتَ أحقُّ أن يَهَبنَ يا رسولَ الله . ثم قال عمر: يا عدُوَّاتِ أنفُسهنَّ ، أتَهبْنَني ولا تهبنَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقلن: نعم ، أنتَ أفظُّ وأغلظُ من رسولِ اللهِ ﷺ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إيها يابنَ الخطَّاب ، والذي نفسي بيدِه ، ما لَقِيَكَ الشيطانُ سالكاً فجًّا قطُّ إلاَّ سَلكَ فجًّا غيرَ فجِّك» . [انظر الحديث: ٣٢٩٤].

٣٦٨٤ ـ حدَّثنا محمدُ بن المثنّى حدَّثنا يحيى عن إسماعيلَ حدَّثنا قيسٌ قال: قال عبدُ اللهِ: «مازلنا أعزَّةً منذ أسلمَ عُمَرُ». [الحديث ٣٦٨٤ ـ طرفه في: ٣٨٦٣].

٣٦٨٥ ـ حدَّثنا عَبدانُ أخبرَنا عبدُ اللهِ حدّثَنا عمرُ بنُ سعيدٍ عنِ ابن أبي مُلَيكةَ أنه سمعَ ابنَ عبَّاسٍ يقول: «وُضِعَ عمرُ على سريرِهِ، فتكنَّفه الناسُ يَدعونَ ويُصلُّونَ قبلَ أن يُرفَعَ ـ وأنا فيهم ـ فلم يَرُعني إلا رجلٌ آخِذٌ مَنكِبي، فإذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فترحَّمَ على عمرَ وقال: ما خلَّفتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقىٰ اللهَ بمثلِ عملهِ منكَ. وايمُ الله إنْ كنتُ لأظنُّ أن يجعلكَ اللهُ مع صَاحِبَيكَ، وحسِبتُ أني كثيراً أسمعُ النبيَّ ﷺ يقول: ذهبتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر، وخرَجتُ أنا وأبو بكر وعمر». [انظر الحديث: ٣٦٧٧].

٣٦٨٦ ـ حدَّثنا مسددٌ حدَّثنا يزيدُ بن زُرَيع حدَّثَنا سعيدُ بن أبي عَروبةَ. وقال لي خليفةُ: حدَّثَنا محمدُ بن سَواءٍ وكَهمَسُ بن المِنهالِ قالا: حدَّثَنا سعيدٌ عن قَتادةَ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «صَعِدَ النبيُّ ﷺ أُحُداً ومعهُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمان، فرَجفَ بهم، فضرَبه برجلهِ وقال: اثبُتْ أُحُدُ، فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شَهيدان». [انظر الحديث: ٣٦٧٥].

٣٦٨٧ ـ حدَّثنا يحيىٰ بنُ سليمانَ قال: حدَّثني ابنُ وهبٍ قال: حدَّثني عمرُ هوَ ابن محمدٍ أن زيدَ بن أسلمَ حدَّثهُ عن أبيهِ قال: «سألني ابنُ عمرَ عن بعضِ شأنهِ ـ يعني عمرَ ـ فأخبرتهُ، فقال: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ من حين قُبضَ كان أجدَّ وأجودَ حتى انتهىٰ من عمرَ بن الخطَّابِ».

٣٦٨٨ ـ حدَّثنا سليمانُ بن حربٍ حدَّثَنا حمَّادُ بن زيدٍ عن ثابتٍ عن أنسٍ رضي الله عنه: «أنَّ رجُلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعةِ فقال: متى الساعةُ؟ قال: وماذا أعدَدْتَ لها؟ قال: لا شيء ، إلاَّ أني أُحبُّ اللهَ ورسوله ﷺ. فقال: أنتَ معَ من أحببت. قال أنسٌ: فما فرِحنا بشيءٍ فرحَنا بقول النبيِّ ﷺ: أنتَ معَ من أحببت. قال أنس: فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمرَ ، وأرجو أن أكونَ معَهم بحبِّي إياهم ، وإن لم أعمَل بمثِل أعمالِهم».

[الحديث ٣٦٨٨ ـ أطرافه في: ٦١٦٧ ، ٦١٧١ ، ٧١٥٣].

٣٦٨٩ ـ حدَّثنا يحيىٰ بن قَزَعةَ حدَّثَنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن أبيهِ عن أبي سلَمةَ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لقد كان فيما قبلَكم منَ الأمم ناسٌ محدَّثون ، فإن يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر». زادَ زكرياءُ بن أبي زائدةَ عن سعدٍ عن أبي سلمة عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لقد كان فيمن كان قبلَكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكلَّمونَ من غير أن يكونوا أنبياءَ ، فإن يكنْ في أمتي منهم أحدٌ فعمر».

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «من نبيٍّ ولا محدَّث». [انظر الحديث: ٣٤٦٩].

٣٦٩٠ ـ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن يوسفَ حدَّثَنا الليث حدَّثَنا عُقَيل عنِ ابنِ شهابٍ عن سعيدِ بن المُسيَّبِ وأبي سلمةَ بن عبد الرحمنِ قالا: سمعنا **أبا هريرةَ** رضيَ اللهُ عنه يقول: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: بينما راعٍ في غَنمِهِ عَدا الذِّئبُ فأخذَ منها شاةً، فطَلبَها حتى استنقذَها، فالتفتَ إليهِ الذِّئبُ فقال لهُ: مَن لها يومَ السَّبُع ليس لها راعٍ غيري؟ فقال الناسُ: سبحانَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: فإني أُومِنُ بهِ وأبو بكرٍ وعمرُ. وما ثم أبو بكر وعمر».

[انظر الحديث: ٢٣٢٤، ٣٤٧١، ٣٦٦٣].

٣٦٩١ ـ حدَّثنا يحيىٰ بنُ بُكَيرٍ حدَّثنا الليثُ عن عُقَيلٍ عنِ ابن شهابٍ قال: أخبرني أبو أُمامةَ ابنُ سهلِ بن حُنيفٍ عن **أبي سعيدٍ الخدريِّ** رضيَ اللهُ عنه قال: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيتُ الناسَ عُرِضوا عليَّ وعليهم قُمص، فمنها ما يَبلغُ الثَّديَ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليه قميص اجترَّهُ. قالوا: فما أوَّلتَهُ يا رسولَ الله؟ قال: الدِّين». [انظر الحديث: ٢٣].

٣٦٩٢ ـ حدَّثنا الصَّلتُ بنُ محمدٍ حدَّثنا إسماعيلُ بن إبراهيمَ حدَّثنا أيُّوبُ عنِ ابنِ أبي مُلَيكةَ عن المِسورِ بن مَخرَمةَ قال: «لما طُعِنَ عمرُ جعلَ يألمُ، فقال لهُ ابن عبَّاسٍ ـ وكأنَّهُ يُجَزِّعهُ ـ: يا أميرَ المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحسَنتَ صُحبتَهُ، ثمَّ فارقتَهُ وهو عنكَ راضٍ، ثمَّ صحبتَ أبا بكر فأحسنتَ صحبتَه، ثمَّ فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثمَّ صحِبتَ صَحَبَتَهم فأحسنتَ صُحبتَهم، ولئن فارقتَهم لتُفارِقَنَّهم وهم عنك راضون. قال: أمَّا ما ذكرتَ من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه فإنما ذاك منٌّ منَ الله تعالىَ منَّ بهِ عليَّ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبةِ أبي بكر ورضاهُ فإنما ذاك منٌّ من اللهِ جلَّ ذِكرُه منَّ بهِ عليَّ، وأمَّا ما ترى من جزَعي فهوَ من أجْلِكَ وأجْلِ أصحابك. واللهِ لو أنَّ لي طِلاعَ الأرضِ ذَهَباً لافتدَيتُ به من عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قبلَ أن أراه».

قال حمَّادُ بن زيدٍ: حدَّثَنا أيُّوبُ عن ابنِ أبي مُليكةَ عن ابنِ عبَّاسٍ «دَخلتُ عَلَى عمرَ» بهذا.

٣٦٩٣ ـ حدَّثنا يوسفُ بن موسىٰ حدَّثَنا أبو أُسامة قال: حدَّثني عثمانُ بنِ غياثٍ حدَّثنا أبو عثمانَ النَّهديُّ عن أبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنه قال: «كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في حائطٍ من حيطانِ المدينةِ، فجاءَ رجُلٌ فاستفتح، فقال النبيُّ ﷺ: افْتَحْ له وبشِّرْهُ بالجنةِ، ففتحتُ له، فإذا هو أبو بكرٍ، فبشرتُهُ بما قال رسولُ اللهِ ﷺ، فحمِدَ اللهَ. ثمَّ جاءَ رجلٌ فاستفتَحَ، فقال النبيُّ ﷺ: افتَحْ لهُ وبشِّرْهُ بالجنَّة، ففتحتُ له فإذا هو عمرُ فأخبرتهُ بما قال النبيُّ ﷺ، فحمِدَ الله. ثمَّ استفتحَ رجلٌ، فقال لي: افتحْ له وبشِّرْهُ بالجنَّةِ على بَلوَى تُصيبُه فإذا عثمانُ، فأخبرتهُ بما قال رسولُ اللهِ ﷺ، فحمِدَ اللهَ، ثم قال: اللهُ المستَعان». [انظر الحديث: ٣٦٧٤].

٣٦٩٤ ـ حدَّثنا يحيىٰ بنُ سليمانَ قال: حدَّثني ابنُ وهبٍ قال: أخبرني حَيْوَةُ قال: حدَّثني أبو عَقِيلٍ زُهرةُ بن مَعبَدٍ أنَّه سمعَ جدَّهُ عبدَ اللهِ بن هشامٍ قال: «كنَّا معَ النبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيدِ عمرَ بن الخطَّاب». [الحديث ٣٦٩٤ ـ طرفاه في: ٦٢٦٤، ٦٦٣٢].

---

٧ ـ باب مَناقبِ عثمانَ بن عَفَّانَ أبي عمرٍو القُرَشيِّ رضيَ اللهُ عنه

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يَحْفِر بئرَ رُومةَ فله الجنَّة. فحفَرَها عثمان». وقال: «مَن جَهَّزَ جيشَ العُسرةِ فله الجنَّة. فجهَّزَهُ عثمان».

٣٦٩٥ ـ حدَّثنا سليمانُ بن حربٍ حدَّثنا حمادُ بن زيدٍ عن أيُّوبَ عن أبي عثمانَ عن أبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ النبيَّ ﷺ دخَلَ حائطاً وأمرَني بحفظِ بابِ الحائط، فجاءَ رجلٌ يَستأذِنُ فقال: ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنَّة، فإذا أبو بكر. ثمَّ جاء آخَرُ يستأذِنُ فقال: ائذَنْ له وبَشِّرْهُ بالجنَّة، فإذا عمر. ثم جاء آخرُ يستأذِنُ، فسكتَ هُنَيهةً ثم قال: ائذَنْ لهُ وبشِّرْهُ بالجنةِ على بَلْوَى ستُصيبُه، فإذا عثمانُ بن عفَّان».

قال حماد: وحدَّثنا عاصمُ الأحولُ وعليُّ بن الحَكَم سمعا أبا عثمانَ يُحدِّث عن أبي موسى بنحوهِ، وزاد فيه عاصم «إنَّ النبيَّ ﷺ كان قاعداً في مَكان فيه ماءٌ قد كشفَ عن رُكبَتيهِ ـ أو ركبتهِ ـ فلمّا دخل عثمان غطَّاها». [انظر الحديث: ٣٦٧٤، ٣٦٩٣].

٣٦٩٦ ـ حدَّثني أحمدُ بن شبيبِ بن سعيدٍ قال: حدَّثني أبي عن يونسَ عنِ ابنِ شهاب

أخبرَني عروةُ أن عُبَيدَ اللهِ بن عَدِيِّ بن الخِيارِ أخبرَهُ: «أن المِسْوَرَ بن مَخْرَمةَ وعبدَ الرحمنِ بن الأسودِ بن عبد يغوثَ قالا: ما يمنَعُكَ أن تكلم عثمانَ لأخيهِ الوَليدِ فقد أكثر الناس فيهِ؟ فقَصَدتُ لعثمانَ حتى خَرَجَ إلى الصلاة ، قلت: إن لي إليكَ حاجةً ، وهي نصيحةٌ لك. قال: يا أيُّها المرءُ منك ـ قال مَعمر: أُراه قال: أعوذ بالله منك ـ فانصرَفتُ فرجَعت إليهما ، إذ جاء رسولُ عثمانَ؛ فأتيتُه ، فقال: ما نصيحتُك؟ فقلت: إن اللهَ سبحانَهُ بعثَ محمداً ﷺ بالحقِّ، وأنزلَ عليهِ الكتابَ ، وكنتَ ممَّنِ استجابَ للهِ ولرسولهِ ﷺ ، فهاجَرتَ الهجرَتَين، وصحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ ورأيتَ هَدْيَه. وقد أكثرَ الناسُ في شأنِ الوَليد. قال: أدركتَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ قلتُ: لا، ولٰكنْ خَلَصَ إليَّ مِن علمهِ ما يَخلُصُ إلى العَذراءِ في سِترها. قال: أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ بعثَ محمداً ﷺ بالحقِّ ، فكنتُ ممَّنْ استجابَ للهِ ولرسولهِ ، وآمنتُ بما بُعثَ بهِ وهاجرتُ الهجرَتَين ـ كما قلتَ ـ وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ وبايعتهُ ، فواللهِ ما عصَيتُهُ ولا غَشَشْتُهُ حتىٰ توفَّاهُ الله. ثمَّ أبو بكرٍ مثله. ثم عمر مثله. ثم استُخلِفْتُ ، أفليسَ لي منَ الحقِّ مثلُ الذي لهم؟ قلتُ: بلىٰ. قال: فما هٰذِهِ الأحاديثُ التي تبلُغُني عنكم؟ أمَّا ما ذكرتَ مِنْ شأنِ الوَليد فسنأخذُ فيهِ بالحقِّ إن شاءَ الله. ثم دَعا عليَّاً فأمَرَهُ أن يَجلِدَ ، فجلَدَهُ ثمانين».

[الحديث ٣٦٩٦ ـ طرفاه في: ٣٨٧٢ ، ٣٩٢٧].

٣٦٩٧ ـ حدَّثني محمدُ بن حاتم بن بَزيع حدَّثنا شاذانُ حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ أبي سَلمةَ الماجِشونُ عن عُبَيدِ اللهِ عن نافعٍ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: «كنَّا في زَمن النبيِّ ﷺ لا نَعدِلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثمَّ نترُكُ أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نُفاضِلُ بينَهم». تابعَهُ عبدُ اللهِ بن صالحٍ عن عبدِ العزيز. [انظر الحديث: ٣٦٥٥].

٣٦٩٨ ـ حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيلَ حدَّثنا أبو عَوانةَ حدَّثنا عثمانُ هو ابن مَوهَبٍ قال: «جاء رجلٌ من أهل مصرَ وحَجَّ البيتَ، فرأَى قوماً جُلوساً فقال: مَنْ هٰؤلاءِ القومُ؟ فقالوا: هٰؤلاء قُرَيشٌ. قال: فمنِ الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ اللهِ بن عمرَ. قال: يابنَ عمرَ إني سائلُكَ عن شيءٍ فحدِّثْني عنه: هل تَعلم أنَّ عثمانَ فرَّ يومَ أُحُد؟ قال: نعم. فقال: تَعلم أنهُ تَغيَّبَ عن بَدرٍ ولم يَشهَدْ؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنَّه تغيَّبَ عن بيعةِ الرِّضوان فلم يَشهَدْها؟ قال: نعم. قال: اللهُ أكبر. قال ابنُ عمرَ: تعالَ أُبَيِّنْ لك. أمَّا فِرارُهُ يومَ أُحُد فأشْهَدُ أنَّ اللهَ عَفا عنهُ وَغَفَرَ له. وأما تغيُّبه عن بَدرٍ فإنه كانت تحتَهُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ وكانت مريضةً، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ لكَ أجرَ رجُلٍ ممَّنْ شهدَ بدراً وسَهمَه. وأما تغيُّبه عن بَيعةِ الرِّضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمانَ لبَعثَهُ مكانَه، فبَعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عثمانَ، وكانت بيعةُ الرِّضوانِ بعدَ ما ذهبَ عثمان إلى مكةَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ بيدِهِ اليمنىٰ: هٰذِهِ يدُ عثمانَ. فضربَ بها على يدِهِ فقال: هٰذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهَبْ بها الآن معك. [انظر الحديث: ٣١٣٠].

٣٦٩٩ ـ حدَّثنا مسدَّدٌ حدَّثنا يحيىٰ عن سعيدٍ عن قتادةَ أنَّ أنساً رضيَ اللهُ عنه حدَّثهم قال: «صَعِدَ النبيُّ ﷺ أُحُداً ومعَهُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمان، فرَجَفَ، فقال: اسكُنْ أُحُدُ ـ أظنُّهُ ضَرَبَهُ برجلِهِ ـ فليسَ عليك إلا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدانِ». [انظر الحديث: ٣٦٧٥، ٣٦٨٦].

---

٨ ـ باب قصةُ البيعةِ ، والاتِّفاقُ على عثمانَ بن عفَّانِ رضيَ اللهُ عنه وفيه مَقتلُ عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنهما

٣٧٠٠ ـ حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيلَ حدَّثَنا أبو عَوانةَ عن حُصَينٍ عن عمرو بن مَيمونٍ قال: «رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ الله عنه قبلَ أن يُصابَ بأيَّامٍ بالمدينةِ ووقفَ على حُذَيفةَ بن اليمانِ وعُثمانَ بن حُنَيفٍ قال: كيفَ فعَلتما؟ أتخافانِ أنْ تكونا حمَّلْتما الأرضَ ما لا تطيقُ؟ قالا: حمَّلْناها أمراً هيَ لهُ مُطيقة ، ما فيها كبيرُ فضْل. قال: انظرا أن تكونا حَمَّلتما الأرضَ ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمرُ: لَئن سلمني اللهُ لأدَعنَّ أرامِلَ أهلِ العِراق لا يحتَجْنَ إلى رجُلٍ بَعدي أبداً. قال: فما أتَتْ عليه إلاَّ رابعة حتىٰ أُصيبَ. قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينَهُ إلا عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ غداةَ أصيبَ ـ وكان إذا مرَّ بينَ الصفين قال: استَوُوا ، حتى إذا لم يَرَ فيهم خَلَلاً تقدَّمَ فكبَّرَ ، وربَّما قرَأَ سورةَ يوسُفَ أوِ النحل أو نحو ذلكَ في الرَّكعةِ الأولى حتى يَجتمعَ الناسُ ـ فما هوَ إلا أن كبَّرَ فسمعتُهُ يقول: قَتَلَني ـ أو أكلَني ـ الكلبُ ، حينَ طعَنَه ، فطارَ العِلجُ بِسكِّينٍ ذاتِ طرَفين ، لا يَمرُ علىٰ أحَدٍ يَميناً وشمالاً إلا طَعَنَهُ ، حتَّى طَعنَ ثلاثةَ عشرَ رجُلاً ماتَ منهم سبعة. فلمّا رأىٰ ذلكَ رجلٌ منَ المسلمينَ طرَحَ عليه بُرنساً ، فلمّا ظنَّ العِلجُ أنه مأخوذ نحرَ نفسَه. وتناوَلَ عمرُ يدَ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ فقدَّمَه ، فمن يلي عمرَ فقد رأَى الذي أرَى ، وأما نواحِي المسجدِ فإنهم لا يدرونَ غيرَ أنهم قد فَقَدوا صوتَ عمرَ وهم يقولون: سُبحانَ الله. فصلَّى بهم عبدُ الرحمنِ صلاةً خفيفةً ، فلمّا انصرَفوا قال: يابنَ عبَّاسٍ ، انظرْ مَن قتَلَني. فجالَ ساعةً ، ثمَّ جاء فقال: غلامُ المغِيرةِ. قال: الصَّنَع؟ قال: نعم. قال: قاتَلَهُ الله ، لقد أمَرتُ بهِ مَعروفاً ، الحمدُ للهِ الذي لم يَجعَلْ مِيتتي بيدِ رجلٍ يدَّعي الإسلام ، قد كنتَ أنتَ وأبوكَ تُحِبَّانِ أن تكثُرَ العلوج بالمدينة ، وكان العبَّاسُ أكثرَهم رقيقاً. فقال: إن شِئتَ فعلتُ ـ أي إن شئتَ قَتَلْنا. قال: كذبتَ ، بعد ما تكلموا بلِسانكم ، وصَلُّوا قبلتكم ، وحجُّوا حَجَّكم؟ فاحتُمِل إلى بيتهِ ، فانطَلَقْنا معَهُ ، وكأنَّ الناس لم تُصِبْهم مُصيبةٌ

قبلَ يومَئذٍ فقائل يقول: لا بأسَ ، وقائل يقول: أخاف عليه. فأُتِيَ بنبيذٍ فشربَهُ ، فخَرَجَ مِنْ جَوفهِ. ثم أتيَ بلبن فشرِبه ، فخرجَ من جُرحهِ ، فعلموا أنه مَيِّت ، فدخَلْنا عليهِ ، وجاء الناسُ فجعلوا يُثنونَ عليه. وجاء رجل شابٌّ فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرَى الله لك ، من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وقِدَمٍ في الإسلام ما قد علمتَ ، ثم وليتَ فعدَلتَ ، ثم شهادة. قال: وَدِدْت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي. فلمّا أدبَر إذا إزارُه يَمَسُّ الأرضَ ، قال: رُدُّوا عليَّ الغُلامَ. قال: يابنَ أخي ، ارفَعْ ثوبَكَ ، فإنه أبقىٰ لثَوبِك وأتقىٰ لربِّك. يا عبدَ اللهِ بنَ عمرَ ، انظُرْ ما عليَّ من الدَّين. فحسَبوهُ فوجدوهُ ستةً وثمانين ألفاً أو نحوَه. قال: إن وَفىٰ لهُ مالُ آلِ عمرَ فأدِّهِ من أموالهم ، وإلاَّ فسَلْ في بني عَدِيِّ بن كعب ، فإن لم تَفِ أموالُهم فسَل في قُرَيشٍ ولا تَعْدُهم إلى غيرهم ، فأدِّ عني هذا المال. انطَلِقْ إلى عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ فقل: يَقرأُ عليكِ عمرُ السلامَ ـ ولا تَقُلْ أمير المؤمنين ، فإني لستُ اليومَ للمؤمنين أميراً ـ وقل: يَستأذنُ عمرُ بن الخطَّابِ أن يُدفَنَ معَ صاحبَيهِ. فسلمَ واستأذَنَ ، ثمَّ دخَلَ عليها فوجَدَها قاعدةً تبكي ، فقال: يَقرأُ عليكِ عمرُ بن الخَطابِ السلامَ ويستأذِنُ أن يُدفَنَ مع صاحبَيهِ. فقالت: كنتُ أُريدُه لنفسي ، ولأُوثرَنَّه به اليومَ على نفسي. فلمّا أقبل قيل: هذا عبدُ اللهِ بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسندَه رجُلٌ إليه فقال: ما لدَيكَ؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين ، أذِنَتْ. قال: الحمدُ لله ، ما كان من شيءٍ أهمُّ إليَّ من ذلك ، فإذا أنا قَضَيتُ فاحملوني ، ثم سلمْ فقلْ: يستأذنُ عمرُ بن الخطاب ، فإن أذِنَتْ لي فأدخِلوني ، وإن ردَّتْني رُدُّوني إلى مَقابر المسلمين. وجاءت أمُّ المؤمنين حفصةُ والنساءُ تَسيرُ معَها ، فلمّا رأيناها قمنا ، فوَلَجَتْ عليه فبكَتْ عندَه ساعةً ، واستأذنَ الرجالُ ، فولَجتْ داخلاً لهم ، فسمعنا بكاءها منَ الداخلِ. فقالوا: أوصِ يا أميرَ المؤمنين ، استَخْلِف. قال: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمر من هٰؤلاءِ النفَرِ ـ أوِ الرَّهطِ ـ الذين تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ: فسمى عليّاً وعثمانَ والزُّبَيرَ وطلحةَ وسَعداً وعبدَ الرحمنِ ، وقال: يَشهَدُكم عبدُ اللهِ بن عمرَ ، وليسَ له منَ الأمرِ شيء ـ كهيئةِ التَّعْزِيةِ له ـ فإن أصابتِ الإمرةُ سعداً فهو ذاك ، وإلاَّ فلْيَستَعنِ به أيُّكم ما أُمِّر ، فإني لم أعزِلْهُ عن عجزٍ ولا خيانةٍ. وقال: أُوصِي الخليفةَ من بعدِي بالمهاجِرينَ الأوَّلين ، أن يعرِفَ لهم حقَّهم ، ويَحفَظَ لهم حرمتَهم. وأُوصِيه بالأنصار خيراً ، والذينَ تَبوؤوا الدارَ والإيمانَ من قَبلِهم ، أن يُقبَلَ مِن مُحسنِهم ، وأن يُعفىٰ عن مسيئهم. وأُوصيهِ بأهلِ الأمصارِ خيراً ، فإنهم رِدءُ الإسلام ، وجُباة المال وغيظ العدُوِّ ، وأن لا يُؤخَذَ منهم إلاَّ فضلُهم عن رِضاهم. وأوصيهِ بالأعراب خَيراً ، فإنهم أصلُ العرَب ، ومادَّةُ الإسلام ، أن

يُؤخَذَ من حَواشي أموالهم ، ويُرَدَّ عَلَى فُقَرائهم . وأوصيهِ بذمَّة الله وذمَةِ رسوله ﷺ ، أن يُوفَىٰ لهم بعهدهم ، وأن يُقاتلَ من ورائهم ، ولا يُكَلفوا إلاَّ طاقَتَهم . فلمّا قُبِضَ خَرَجنا به فانطلَقْنا نمشي فسلم عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قال: يَستأذنُ عمرُ بن الخطاب . قالت: أدخِلوه ، فأدخِل ، فوُضِعَ هنالك مع صاحبَيه . فلمّا فُرِغَ مِن دَفنه اجتمعَ هؤلاء الرهطُ ، فقال عبدُ الرحمن: اجعَلوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم . فقال الزُّبَيرُ: قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ . فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان ، وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبدِ الرحمنِ بن عَوف . فقال عبدُ الرحمنِ: أيُّكما تبرَّأ من هذا الأمر فنجعلُه إليه ، واللهُ عليه والإسلامُ لَينظرَنَّ أفضلَهم في نفسه؟ فأسكِتَ الشيخانِ . فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونَهُ إليَّ واللهُ عليَّ أن لا آلو عن أفضَلِكم؟ قالا: نعم فأخذَ بيدِ أحدِهما فقال: لكَ قَرابةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ والقدَم في الإسلام ما قد علمتَ ، فاللهُ عليكَ لَئن أمَّرْتُكَ لَتعدِلنَّ ، ولَئن أمَّرتُ عثمانَ لتَسمعنَّ ولتُطيعنَّ . ثمَّ خَلا بالآخَرِ فقال مثلَ ذلك . فلمّا أخذَ الميثاقَ قال: ارفعْ يَدَكَ يا عثمانُ، فبايَعَهُ، فبايَعَ لهُ عليٌّ، ووَلَجَ أهلُ الدارِ فبايَعوهُ». [انظر الحديث: ١٣٩٢ ، ٣٠٥٢ ، ٣١٦٢].

---

٩ ـ باب مناقبُ عليِّ بن أبي طالبٍ القُرَشيِّ الهاشميِّ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنه

وقال النبيُّ ﷺ لعلِيٍّ: «أنتَ منِّي وأنا منك» وقال عمرُ: «تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنه راضٍ».

٣٧٠١ ـ حدَّثنا قُتيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا عبدُ العزيز عن أبي حازِمٍ عن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ الله على يدَيه. قال: فباتَ الناسُ يَدوكون ليلتَهم أيُّهم يُعطاها. فلمّا أصبحَ الناسُ غَدَوا على رسولِ اللهِ ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أينَ عليُّ بن أبي طالب؟ فقالوا: يَشتكي عينَيهِ يا رسولَ اللهِ. قال: فأرسِلوا إليه فائْتُوني به. فلما جاءَ بَصَقَ في عينَيه ودَعا له، فبَرَأَ حتىٰ كأنْ لم يكنْ به وَجَع، فأعطاهُ الراية، فقال علي: يا رسولَ اللهِ أُقاتِلُهم حتىٰ يكونوا مثلَنا، فقال: انفُذْ على رِسْلِكَ حتىٰ تنزلَ بساحَتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجِبُ عليهم من حقِّ اللهِ فيه، فواللهِ لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً واحداً خيرٌ لكَ مِنْ أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم». [انظر الحديث: ٢٩٤٢، ٣٠٠٩].

٣٧٠٢ ـ حدَّثنا قُتيبةُ حدَّثنا حاتمٌ عن يَزيدَ بنِ أبي عُبَيدٍ عن سَلمةَ قال: «كان عليٌّ قد تخلَّفَ عن النبيِّ ﷺ في خَيبرَ وكان به رَمَدٌ فقال: أنا أتَخلَّفُ عن رسولِ اللهِ ﷺ؟ فخرجَ عليٌّ فلَحِقَ بالنبيِّ ﷺ. فلمّا كان مساءَ الليلةِ التي فَتحها الله في صباحِها قال رسولُ اللهِ ﷺ: لأعطِينَّ الرايةَ ـ أو لَيأخُذَنَّ الرايةَ ـ غداً رجلاً يُحبُّه اللهُ ورسوله ـ أو قال: يُحبُّ اللهَ ورسولَه ـ يَفتحُ اللهُ عليه، فإذا نحنُ بعلي وما نَرجوهُ، فقالوا: هٰذا عليٌّ، فأعطاهُ رسولُ اللهِ ﷺ الرايةَ ففَتحَ الله عليه».

[انظر الحديث: ٢٩٧٥].

٣٧٠٣ ـ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن مَسلمةَ حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بن أبي حازِم عن أبيه: «أن رجلاً جاءَ إلى سهلِ بن سعدٍ فقال: هذا فلانٌ ـ لأميرِ المدينةِ ـ يدعو علياً عندَ المنبر. قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب، فضحِك. قال: واللهِ ما سمَّاهُ إلا النبيُّ ﷺ، وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه. فاستطعَمتُ الحديثَ سهلاً وقلتُ: يا أبا عبَّاسٍ كيف ذلك؟ قال: دخلَ عليٌّ على فاطمةَ، ثمَّ خرجَ فاضطَجَعَ في المسجدِ، فقال النبيُّ ﷺ: أينَ ابنُ عمِّكِ؟ قالت: في المسجد، فخرجَ إليه فوجدَ رِداءهُ قد سقطَ عن ظَهرِه وخلصَ الترابُ إلى ظهره، فجعلَ يَمسحُ الترابَ عن ظهرِهِ فيقول: اجلِسْ يا أبا تراب. مرَّتين». [انظر الحديث: ٤٤١].

٣٧٠٤ ـ حدَّثنا محمدُ بن رافعٍ حدَّثنا حسينٌ عن زائدةَ عن أبي حُصينٍ عن سعدِ بن عُبيدة قال: «جاء رجلٌ إلى ابن عمرَ فسأَله عن عثمانَ؛ فذكرَ عن مَحاسنِ عملِهِ، قال: لعلَّ ذٰلكَ يَسوءُكَ؟ قال: نعم. قال: فأرغم اللهُ بأنفِكَ. ثمَّ سألهُ عن عليٍّ، فذكرَ محاسنَ عمله قال: هوَ ذاكَ، بيتهُ أوسطُ بيوتِ النبيِّ ﷺ. ثم قال: لعلَّ ذاكَ يَسوءُك؟ قال: أجل. قال: فأرغمَ اللهُ بأنفِكَ، انطلِقْ فاجهَدْ على جَهدك». [انظر الحديث: ٣١٣٠، ٣٦٩٨].

٣٧٠٥ ـ حدَّثنا محمدُ بن بشَّارٍ حدَّثَنا غُنْدَرٌ حدَّثَنا شُعبةُ عن الحكَمِ سمعتُ ابنَ أبي ليلىٰ قال: «حدَّثَنا عليٌّ أنَّ فاطمةَ عليها السلامُ شكَتْ ما تَلقىٰ من أثرِ الرَّحىٰ، فأُتيَ النبي ﷺ بسَبي، فانطلَقَتْ، فلم تجِدْهُ، فوَجَدَتْ عائشةَ فأخبَرَتْها. فلمّا جاء النبيُّ ﷺ أخبرَتهُ عائشةُ بمجيء فاطمةَ، فجاء النبيُّ ﷺ إلينا ـ وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا ـ فذهبتُ لأقومَ فقال: على مكانِكما. فقعدَ بَيننا حتىٰ وَجدْتُ بَردَ قدَمَيه على صَدْرِي، وقال: ألا أُعلِّمكما خَيراً ممَّا سألتُماني؟ إذا أخذتما مَضاجِعَكما تُكبِّرانِ أربعاً وثلاثينَ، وتسبِّحانِ ثلاثاً وثلاثين، وتَحْمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم». [انظر الحديث: ٣١١٣].

٣٧٠٦ ـ حدَّثنا محمدُ بن بشَّارٍ حدَّثنا غُندَرٌ حدَّثَنا شعبةُ عن سَعدٍ قال: سمعتُ إبراهيمَ بن سعدٍ عن أبيهِ قال: «قال النبيُّ لعليٍّ: أما تَرْضَىٰ أن تكونَ منِّي بمنزِلةِ هارونَ من موسىٰ»؟

[الحديث ٣٧٠٦ ـ طرفه في: ٤٤١٦].

٣٧٠٧ ـ حدَّثنا عليُّ بنُ الجعدِ أخبرنا شعبةُ عن أيوبَ عنِ ابنِ سيرينَ عن عَبيدةَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكرَهُ الاختلافَ، حتىٰ يكونَ الناسُ جماعةً، أو أموتَ كما مات أصحابي، فكان ابنُ سيرينَ يرَى أنَّ عامَّةَ ما يُروَىٰ عن عليٍّ الكَذِبُ».

١٠ ـ باب مَناقِبِ جعفرِ بن أبي طالبٍ الهاشميِّ رضيَ اللهُ عنه وقال له النبيُّ ﷺ: «أشبهتَ خُلقي وخَلقي»

٣٧٠٨ ـ حدَّثنا أحمدُ بن أبي بكر حدَّثَنا محمدُ بن إبراهيمَ بنِ دينارٍ أبو عبدِ اللهِ الجُهَنيُّ عن ابن أبي ذِئبٍ عن سعيدٍ المقبريِّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «إن الناسَ كانوا يقولون: أكثرَ أبو هريرةَ، وإني كنتُ ألزَمُ رسولَ اللهِ ﷺ بِشبَع بطني حتى لا آكلُ الخميرَ ولا ألبَسُ الحَبيرَ ولا يخدُمني فلانٌ ولا فلانة، وكنتُ ألصِقُ بطني بالحصباءِ من الجوع، وإنْ كنتُ لأستقرىء الرجلَ الآيةَ هيَ معي كي يَنقلِبَ بي فيُطعِمَني. وكان أخْيرَ الناسِ للمساكين جعفرُ بن أبي طالب: كان ينقلِبُ بنا فيُطعِمُنا ما كان في بيته، حتىٰ إنْ كان ليُخرِجُ إلينا العُكةَ التي ليسَ فيها شيء، فيَشقُّها فنلعقُ ما فيها». [الحديث ٣٧٠٨ ـ طرفه في: ٥٤٣٢].

٣٧٠٩ ـ حدَّثنا عمرُو بن عليٍّ حدَّثَنا يزيدُ بن هارونَ أخبرَنا إسماعيلُ بن أبي خالدٍ عن الشَّعبيِّ: «أن ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان إذا سلم على ابن جعفرٍ قال: السلامُ عليكَ يابنَ ذِي الجناحَين».

قال أبو عبدِ اللهِ: الجناحان: كلُّ ناحيتين. [الحديث ٣٧٠٩ ـ طرفه في: ٤٢٦٤].

---

١١ ـ باب ذكر العبَّاسِ بن عبدِ المطَّلبِ رضي اللهُ عنه

٣٧١٠ ـ حدَّثنا الحسنُ بن محمدٍ حدَّثنا محمدُ بن عبدِ الله الأنصاريُّ حدَّثني أبي عبدُ الله بنُ المثَنىٰ عن ثُمامةَ بن عبدِ اللهِ بن أنسٍ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ عمرَ بن الخطَّابِ كان إذا قَحَطوا استَسقىٰ بالعباسِ بن عبدِ المطلبِ فقالَ: اللهمَّ إنَّا كنَّا نَتَوسَّلُ إليك بنَبيِّنا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقِنا ، قال: فيُسْقون». [انظر الحديث: ١٠١٠].

١٢ ـ باب مَناقبِ قَرابةِ رسولِ اللهِ ﷺ

ومنقبةِ فاطمةَ عليها السلامُ بنتِ النبيِّ ﷺ. وقال النبيُّ ﷺ: «فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهل الجنة».

٣٧١١ ـ حدَّثنا أبو اليَمانِ حدَّثنا شُعيبٌ عن الزُّهريِّ قال: حدَّثني عُروة بن الزُّبير عن عائشةَ: «أن فاطمةَ عليها السلام أرسلَتْ إلى أبي بكرٍ تسألهُ مِيراثَها منَ النبيِّ ﷺ مما أفاءَ اللهُ علىٰ رسولِهِ ﷺ تطلُبُ صدَقةَ النبيِّ ﷺ التي بالمدينة وفَدَك ، وما بقيَ من خُمسِ خَيبرَ».

[انظر الحديث: ٣٠٩٢].

٣٧١٢ ـ «فقال أبو بكرٍ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا فهو صدقة؛ إنما يأكلُ آلُ محمدٍ من هذا المال ـ يعني مالَ اللهِ ـ ليس لهم أن يزيدوا على المأكل. وإني واللهِ لا أُغيِّرُ شيئاً من صدَقاتِ رسول الله ﷺ التي كانت عليها في عهدِ النبيِّ ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عملَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ. فتشهَّدَ عليٌّ ثمَّ قال: إنّا قد عَرَفنا يا أبا بكرٍ فضيلتَكَ ـ وذكرَ قَرابتَهم من رسول الله ﷺ وحقَّهم ـ فتكلم أبو بكرٍ فقال: والذي نفسي بيدِه لقَرابةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِلَ من قرابتي». [انظر الحديث: ٣٠٩٣].

٣٧١٣ ـ أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الوهابِ أخبرَنا خالدٌ حدَّثَنا شعبةُ عن واقدٍ قال: سمعتُ أبي يُحدِّثُ عن ابنِ عمر: «عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهم قال: ارقُبوا محمداً ﷺ في أهلِ بيته». [الحديث ٣٧١٣ طرفه في: ٣٧٥١].

٣٧١٤ ـ حدَّثنا أبو الوليدِ حدَّثنا ابنُ عُيينةَ عن عمرِو بن دِينارٍ عنِ ابن أبي مُلَيْكةَ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمةَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «فاطمةُ بضعةٌ مني، فَمَنْ أغضَبَها أغضَبني». [انظر الحديث: ٩٢٦، ٣١١٠].

٣٧١٥ ـ حدَّثنا يحيىٰ بن قَزَعة حدَّثَنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن أبيهِ عن عُروةَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «دَعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ ابنتَهُ في شكواه الذي قبضَ فيها، فسارَّها بشيء فبكَت، ثمَّ دَعاها فسارَّها فضحِكَتْ قالت: فسألتُها عن ذلك». [انظر الحديث: ٣٦٢٣، ٣٦٢٥].

٣٧١٦ ـ «فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ فأخبرَني أنهُ يُقبَضُ في وَجَعهِ الذي تُوُفِّيَ فيه فَبَكَيتُ، ثمَّ سارَّني فأخبرَني أني أولُ أهل بيتهِ أتبعُهُ فضحِكت». [انظر الحديث: ٣٦٢٤، ٣٦٢٦].

---

١٣ ـ باب مناقبِ الزُّبَيرِ بن العَوَّام

وقال ابنُ عبَّاسٍ: «هو حَوارِيُّ النبيِّ ﷺ». وسُمِّي الحواريون لبياضِ ثيابهم

٣٧١٧ ـ حدَّثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ حدَّثنا عليُّ بن مُسهِر عن هشام بن عُروةَ عن أبيه قال: أخبرَني **مروانُ بن الحكم** قال: «أصابَ عثمانَ بن عفانَ رضيَ اللهُ عنه رُعافٌ شديدٌ سنَةَ الرُّعافِ حتى حَبَسَهُ عنِ الحجِّ وأوصىٰ، فدخلَ عليه رجلٌ من قُرَيش قال: استَخلفْ. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومَنْ؟ فسكت. فدخلَ عليه رجلٌ آخرُ ـ أحسِبهُ الحارثَ ـ فقال: استَخلفْ. فقال عثمانُ: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت. قال: فلعلَّهم قالوا إنه الزُّبير؟ قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيدِه إنهُ لخيرُهم ما علمتُ، وإن كان لأحبَّهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ». [الحديث ٣٧١٧ ـ طرفه في: ٣٧١٨].

٣٧١٨ ـ حدَّثنا عُبَيدُ بن إسماعيلَ حدَّثنا أبو أُسامةَ عن هشام أخبرَني أبي سمعتُ مَروانَ بن الحكم: «كنتُ عندَ عثمانَ أتاهُ رجلٌ فقال: استخلِف. قال: وقيلَ ذاكَ؟ قال: نعم، الزُّبيرُ. قال: أما واللهِ إنكم لتعلمونَ أنه خيرُكم. ثلاثاً». [انظر الحديث: ٣٧١٧].

٣٧١٩ ـ حدَّثنا مالكُ بن إسماعيلَ حدَّثَنا عبدُ العزيز هو ابن أبي سلمَةَ عن محمدِ بن المنكدِرِ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ: إن لكلِّ نبيٍّ حواريّاً، وإنَّ حَواريَّ الزُّبيرُ بن العَوَّام». [انظر الحديث: ٢٨٤٦، ٢٨٤٧، ٢٩٩٧].

٣٧٢٠ - حدَّثنا أحمدُ بن محمدٍ أنبأنا عبدُ اللهِ أخبرَنا هشامُ بن عُروةَ عن أبيهِ عن عبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ قال: «كنتُ يومَ الأحزابِ جُعلتُ أنا وعُمرُ بن أبي سلمةَ في النساء، فنظرتُ فإذا أنا بالزُّبير على فَرَسهِ يختلفُ إلى بني قُرَيظةَ مرَّتين أو ثلاثاً. فلمّا رجعتُ قلتُ: يا أبتِ رأيتُكَ تختلفُ، قال: أوَ هل رأيتَني يا بُنيَّ؟ قلتُ: نعم. قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ قال: مَنْ يأتِ بني قرَيظةَ فيأتيني بخبرهم؟ فانطلَقْتُ، فلمّا رَجَعتُ جمعَ لي رسولُ اللهِ ﷺ أبوَيه فقال: فِداكَ أبي وأميّ».

٣٧٢١ - حدَّثنا عليُّ بن حفصٍ حدَّثنا ابنُ المبارَكِ أخبرَنا هِشامُ بن عُروةَ عن أبيه: «أنَّ أصحابَ النبيِّ ﷺ قالوا للزُّبير يومَ وقعةِ اليرموكِ: ألا تَشُدُّ فنشدّ معك؟ فحملَ عليهم فضربوه ضربتَين على عاتقِهِ بينَهما ضَربةٌ ضُرِبَها يومَ بَدْرٍ. قال عُروة: فكنتُ أُدخِلُ أصابعي في تلك الضربات ألعبُ وأنا صغير». [الحديث ٣٧٢١ ـ طرفاه في: ٣٩٧٣، ٣٩٧٥].

١٤ ـ باب ذكر طلحةَ بنِ عُبَيد الله. وقال عمرُ: تُوُفِّي النبيُّ ﷺ وهوَ عنه راضٍ

٣٧٢٢ ـ ٣٧٢٣ - حدَّثني محمدُ بنُ أبي بكرٍ المُقدَّميُّ حدَّثَنا معتمرٌ عن أبيهِ عن أبي عثمانَ قال: «لم يَبقَ مع النبيِّ ﷺ في بعض تلكَ الأيام التي قاتلَ فيهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ غيرُ طلحةَ وسعدٍ، عن حَديثهما». [الحديث ٣٧٢٢ ـ طرفه في: ٤٠٦٠]. [الحديث ٣٧٢٣ ـ طرفه في: ٤٠٦١].

٣٧٢٤ - حدَّثنا مسدَّدٌ حدَّثَنا خالدٌ حدَّثَنا ابنُ أبي خالدٍ عن قيسِ بن أبي حازمٍ قال: «رأيتُ يدَ طلحةَ التي وَقَى بها النبيَّ ﷺ قد شُلَّت». [الحديث ٣٧٢٤ ـ طرفه في: ٤٠٦٣].

---

١٥ ـ باب مَناقبِ سعدِ بن أبي وقَّاصٍ الزُّهريِّ
وبنو زُهرةَ أخوالُ النبيِّ ﷺ ، وهوَ سعدُ بن مالك

٣٧٢٥ ـ حدَّثني محمدُ بن المثنىٰ حدَّثَنا عبدُ الوهَّابِ قال : سمعتُ يحيىٰ قال : سمعتُ سعيدَ بن المسيَّب قال : سمعتُ سعداً يقول : «جَمعَ لي النبيُّ ﷺ أبوَيه يومَ أُحُد» .
[الحديث ٣٧٢٥ ـ أطرافه في : ٤٠٥٥ ، ٤٠٥٦ ، ٤٠٥٧] .

٣٧٢٦ ـ حدَّثنا مكيُّ بنُ إبراهيمَ حدَّثَنا هاشمُ بن هاشمٍ عن عامرِ بن سعدٍ عن أبيهِ قال : «لقد رأيتُني وأنا ثُلُثُ الإسلام» . [الحديث : ٣٧٢٦ ـ طرفاه في : ٣٧٢٧ ، ٣٨٥٨] .

٣٧٢٧ ـ حدَّثني إبراهيمُ بن موسىٰ أخبرنا ابن أبي زائدةَ حدَّثنا هاشمُ بن هاشمِ بن عتبةَ بن أبي وقَّاصٍ قال : سمعتُ سعيدَ بن المسيَّب يقول : سمعت سعدَ بن أبي وقَّاصٍ يقول : «ما أسلمَ أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مَكثتُ سبعةَ أيَّامٍ وإني لثلثُ الإسلام» . تابَعهُ أبو أسامةَ حدَّثَنا هاشم . [انظر الحديث : ٣٧٢٦] .

٣٧٢٨ ـ حدَّثنا عمرُو بن عَونٍ حدَّثنا خالدُ بن عبدِ اللهِ عن إسماعيلَ عن قيسٍ قال : سمعتُ سعداً رضي الله عنه يقول : «إني لأولُ العرب رمىٰ بسهم في سبيل الله ، وكنَّا نَغْزو معَ النبيِّ ﷺ وما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجر ، حتىٰ إن أحدَنا ليَضَعُ كما يَضعُ البعيرُ أوِ الشاةُ ماله خِلْط ، ثم أصبحتْ بنو أَسَدٍ تُعزِّرُني على الإسلام لقد خِبتُ إذاً وضلَّ عملي . وكانوا وشوا به إلى عمرَ قالوا : لا يحسنُ يُصلِّي» . [الحديث ٣٧٢٨ ـ طرفاه في : ٥٤١٢ ، ٦٤٥٣] .

شرح

منظومة القواعد الفقهية

للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

(١٣٧٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

يحيى بن علي النهاري

الحمـــدُ للـــهِ العـــليِّ الأَرْفَـــقِ (١) وجَـامِـــعِ الأَشْيـــاءِ وَالمُفَـــرِّقِ

ذِي النِّعَـــمِ الواسِعَـــةِ الْغَزِيـــرَه (٢) والحِكَـــمِ الباهِـــرَةِ الكَثيـــرَه

ثُـــمَّ الصَّـــلاةُ مـــعْ سَـــلامٍ دَائـــمِ (٣) عَـــلىٰ الرَّســـولِ القُرَشِـــيِّ الخاتـَــمِ

وَآلِـــهِ وصَحبِـــهِ الأَبْـــرارِ (٤) الحائِـــزِي مَراتِـــبَ الفَخَـــارِ

اِعْلَـــمْ هُدِيـــتَ أَنَّ أفضـــلَ الْمِنَـــنْ (٥) عِلـمٌ يُزيـلُ الشَّـكَّ عَنْـكَ وَالـدَّرَنْ

وَيَكْشِـــفُ الحـــقَّ لِـــذِي القُـــلُـــوبِ (٦) وَيُوصِـــلُ العَبْـــدَ إِلـــىٰ المطْلُـــوبِ

فَاحْـــرِصْ عـــلىٰ فَهْمِـــكَ للقَواعِـــدِ (٧) جَامِعَـــةِ المَسَـائِـــلِ الشَّـــوارِدِ

لِتَـــرْتَقِي في العِلْـــمِ خَيْـــرَ مُرتَقَـــىٰ (٨) وتَقْتَفِـــي سُبْـــلَ الَّـــذِي قَـــدْ وُفِّقَـــا

وَهَـــذِهِ قَواعِـــدٌ نَظَمْتُهـــا (٩) مِـنْ كُتْـبِ أَهْـلِ الْعِلْـمِ قَـدْ حَصَّلْتُهـا

جَزاهُـــمُ المَـــوْلَىٰ عَظِيـــمَ الأَجْـــرِ (١٠) وَالْعَفْـــوَ مَـــعْ غُفْرانِـــهِ وَالْبِـــرِّ

وَنِيَّتُنَا شَرْطٌ لِسَائِرِ الْعَمَلْ (١١) بِهَا الصَّلاحُ وَالفَسَادُ لِلْعَمَلْ

الدِّينُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ المَصالِحِ (١٢) في جَلْبِهَا وَالدَّرْءِ لِلْقَبائِحِ

فَإِنْ تَزاحَمْ عَدَدُ المَصالِحِ (١٣) يُقدَّمُ الأَعْلَىٰ مِنَ المَصَالِحِ

وَضِدُّهُ تَزاحُمُ المَفَاسِدِ (١٤) يُرْتَكَبُ الأَدْنَىٰ مِنَ المَفَاسِدِ

قَاعِدَةُ الشَّريعةِ التَّيْسِيرُ (١٥) فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابَهُ تَعْسِيرُ

وَلَيْسَ وَاجِبٌ بِلا اقْتِدَارِ (١٦) وَلاَ مُحَرَّمٌ مَعَ اضْطِرارِ

وَكُلُّ مَحْظُورٍ مَعَ الضَّرُورَهْ (١٧) بِقَدْرِ مَا تَحْتَاجُهُ الضَّرُورَهْ

وَتَرْجِعُ الْأَحْكامُ لِلْيَقِينِ (١٨) فَلَا يُزِيلُ الشَّكُّ لِلْيَقِينِ

وَالْأَصْلُ فِي مِياهِنَا الطَّهَارَهْ (١٩) وَالْأَرْضِ وَالثِّيابِ وَالْحِجارَهْ

وَلَيْسَ وَاجِبٌ بِلا اقْتِدَارِ (١٦) وَلاَ مُحَرَّمٌ مَعَ اضْطِرارِ

وَكُلُّ مَحْظُورٍ مَعَ الضَّرُورَهْ (١٧) بِقَدْرِ مَا تَحْتَاجُهُ الضَّرُورَهْ

وَتَرْجِعُ الْأَحْكَامُ لِلْيَقِينِ (١٨) فَلَا يُزِيلُ الشَّكُّ لِلْيَقِينِ

وَالْأَصْلُ فِي مِياهِنَا الطَّهَارَهْ (١٩) وَالْأَرْضِ وَالثِّيَابِ وَالْحِجَارَهْ

وَالْأَصْـــلُ فِـــي الأَبْضـــاعِ وَاللُّحُـــومِ (٢٠) وَالنَّفْـــسِ وَالْأَمْـــوالِ لِلْمَعْصُـــومِ

تَـحْريمُـهـــا حَتَّـــىٰ يَجِـــيءَ الحِـــلُّ (٢١) فَافْهَـــمْ هَـــداكَ اللـــهُ مَـــا يُمَـــلُّ

وَالْأَصْـــلُ فِـــي عَـادَاتِنَـــا الْإِبَـاحَـــهْ (٢٢) حَتَّـــىٰ يَجِـــيءَ صَـــارِفُ الْإِبـاحَـــهْ

وَلَيْـــسَ مَشْرُوعًـــا مِـــنَ الأُمُـــورْ (٢٣) غَيْـــرُ الَّـــذِي فِـــي شَرْعِنَـــا مَذْكُـــورْ

وَسَائِـــلُ الْأُمُـــورِ كَـالمَقـاصِـــدِ (٢٤) وَاحْكُـــمْ بِهَـــذَا الحُكْـــمِ لِلزَّوائِـــدِ

وَالخَطَـــأْ والإِكْـــرَاهُ وَالنِّسْيَـــانُ (٢٥) أَسْقَطَـــهُ مَعْبُـودُنَـــا الرَّحْمَـــنُ

لَكِـنْ مَـعَ الإتـلافِ يَثْبُـتُ الْبَـدَلْ (٢٦) وَيَنْتَفِـي التَّأْثِيـمُ عَنْـهُ وَالزَّلَـلْ

وَمِـنْ مَسائِـلِ الْأَحْكَـامِ فِـي التَّبَـعْ (٢٧) يَثْبُـتُ لا إِذَا اسْتَقَـلَّ فَوَقَـعْ

وَالْعُـرْفُ مَعْمُـولٌ بِـهِ إِذَا وَرَدْ (٢٨) حُكْمٌ مِنَ الشَّـرْعِ الشَّرِيفِ لَـمْ يُحَـدْ

مُعاجِـلُ المَحْظـورِ قَبْـلَ آنِـهِ (٢٩) قَـدْ بَـاءَ بِالخُسْـرانِ مَـعْ حِرْمانِـهِ

وَإِنْ أَتَىٰ التَّحْـرِيمُ فِـي نَفْسِ الْعَمَـلْ (٣٠) أَوْ شَرْطِـــهِ فَـــذُو فَسَـــادٍ وَخَلَـــلْ

وَمُتْلِـــفٌ مُؤْذِيـــهِ لَيْـــسَ يَضْمَـــنُ (٣١) بَعْـــدَ الدِّفـــاعِ بِالَّتِـــي هِـــيَ أَحْسَـــنُ

وَ(أَلْ) تُفِيـــدُ الْكُـــلَّ فـــي الْعُمُـــومِ (٣٢) فِـــي الجَمْـــعِ وَالإِفْـــرادِ كَالْعَلِيـــمِ

وَالنَّكِـــراتُ فـــي سِيَـــاقِ النَّفْـــيِ (٣٣) تُعْطِـــي الْعُمُـــومَ أَوْ سِيـــاقِ النَّهْـــيِ

كَـذاكَ (مَـنْ) وَ(مَـا) تُفيـدانِ مَعَـا (٣٤) كُـلَّ الْعُمـومِ يَـا أُخَـيَّ فَاسْمَعَـا

وَمِثْلُـــهُ المُفْـــرَدُ إِذْ يُضـــافُ (٣٥) فَافْهَـمْ هُـدِيتَ الرُّشْـدَ مـا يُضـافُ

وَلا يَتِـــمُّ الحُكْـــمُ حَتَّـــىٰ تَجْتَمِـــعْ (٣٦) كُـــلُّ الشُّـــرُوطِ وَالمَوانِـــعْ تَرْتَفِـــعْ

وَمَـــنْ أَتَـــىٰ بِمَـــا عَلَيْـــهِ مِـــنْ عَمَـــلْ (٣٧) قَـــدِ اسْتَحَـــقَّ مَالَـــهُ عَـــلَىٰ الْعَمَـــلْ

وَيُفْعَـــلُ الْبَعْـــضُ مِـــنْ المَأْمُـــورِ (٣٨) إِنْ شَـــقَّ فِعْـــلُ سَـــائِـــرِ المَأْمُـــورِ

وَكُـلمَـــا نَشَـــا عَـــنِ المَـــأْذُونِ (٣٩) فَـــذَاكَ أَمْـــرٌ لَيْـــسَ بِالمَضْمُـــونِ

وَكُـــلُّ حُكْـــمٍ دَائِـــرٍ مَـــعْ عِلَّتِـــهِ (٤٠) وَهْـــيَ الَّتِـــي قَـــدْ أَوْجَبَـــتْ لِشِرْعَتِـــهِ

وَكُـــلُّ شَـــرْطٍ لَازِمٌ لِلْعَاقِـــدِ (٤١) فِـي الْبَيْـعِ وَالنِّكَـاحِ وَالْمَقَاصِـدِ

إِلَّا شُرُوطًـــا حَلَّلَـــتْ مُحَرَّمَـــا (٤٢) أَوْ عَكْسَـــهُ فَبَاطِـــلاتٌ فَاعْلَمَـــا

تُسْتَعْمَـــلُ الْقُرْعَـــةُ عِنْـــدَ الْمُبْهَـــمِ (٤٣) مِـــنَ الحُقُـــوقِ أَوْ لَـــدَىٰ التَّزَاحُـــمِ

وَإِنْ تَسَـــاوَىٰ الْعَمَـــلانِ اجْتَمَعَـــا (٤٤) وَفُـعِـــلَ أحدُهُمـــا فَاسْتَمِعَـــا

وَكُـــلُّ مَشْغُـــولٍ فَـــلَا يُشَغَّـــلُ (٤٥) مِثالُـــهُ المَرْهُـــونُ وَالمُسَبَّـــلُ

وَمَـــنْ يُـــؤَدِّ عَـــنْ أَخِيـــهِ وَاجِبَـــا (٤٦) لَـــهُ الرُّجُـــوعِ إِنْ نَـــوَىٰ يُطالِبَـــا

وَالْـــوَازِعُ الطَّبْعِـــي عَـــنِ الْعِصْيـــانِ (٤٧) كَالـــوَازِعِ الشَّرْعِـــي بِـــلَا نُكْـــرَانِ

وَالحَمْـــدُ للـــهِ عَلـــىٰ التَّمَـــامِ (٤٨) فـــي الْبَـــدْءِ وَالخِتـــامِ وَالـــدَّوامِ

ثُـــمَّ الصَّـــلاةُ مَـــعْ سَـــلامٍ شَائِـــعِ (٤٩) عَلَـــىٰ النَّبِـــي وَصَحْبِـــهِ وَالتَّابِـــعِ

شرح

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

(١٤٢١هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

وليد بن عثمان فلاتي

تقديم لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على المؤلَّف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات، وسماه: "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"

وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتابا جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات.

وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله عز وجل الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجا واختلاطا بالمخلوقين، بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله سبحانه، وإنما تقتضي علمَه واطلاعَه، وإحاطَته بهم، وسماعَه لأقوالهم وحركاتهم، وبصرَه بأحوالهم وضمائرهم، وحفظَه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصرَه لهم وتوفيقَه لهم، إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة من المعاني الجليلة والحقائق الثابتة لله سبحانه.

كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل، والتشبيه، والتمثيل، وأهل الحلول والاتحاد.

فجزاه الله خيرًا، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علما وهدى وتوفيقا، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى: عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

5 / 11 / 1404 هـ

الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مقدمة الشيخ ابن عثيمين للقواعد المثلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. صلى الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي:

الإيمان بوجود الله تعالى. والإيمان بربوبيته. والإيمان بألوهيته. والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فمنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180]، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، وتذكره بلسانك؛ لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك؛ لأنه البصير، وتخشاه في السر؛ لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى؛ أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجيا من الله تعالى أن يجعل عملي خالصا لوجهه، موافقا لمرضاته، نافعا لعباده. وسميته "القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى".

المؤلف

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:180]، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً، ولا تقديرًا.

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغيرها.

ومثال آخر: "العليم" اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه:52]، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام:59] ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود:6] ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ [التغابن:4].

ومثال ثالث: "الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ρ: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" يعني: أم صبي وجدته في السبي، فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف:156]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:7].

والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا، فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما

دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف؛ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلَّت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

ف "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:107]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾ [الكهف:58]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة.

ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا عُلِم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع: فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج:12 – 16]. وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ٥﴾ [الأعلى:5]، ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

وأما العقل: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا في غيره.

وبهذا أيضا عُلِم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية:24] يريدون: مرور الليالي والأيام.

فأما قوله ρ: قال الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" ما فسَّره بقوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بيَّن أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها) ، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادًا به الله تعالى.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة:34]، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:1].

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٢﴾ [الطلاق:12].

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله تعالى فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ρ إذا صح أن يكون لازما فهو حق؛ وذلك لأن كلام الله ورسوله ρ حقٌ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله ρ، فيكون مرادًا.

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله ρ فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به. مثل أن يقول من ينفى الصفات الفعلية لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ١٠٩﴾ [الكهف:109] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧﴾ [لقمان:27]. وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصا في حقه.

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله. مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابها للخلق في صفاته! فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟.

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا يُنسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول. فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازما من قوله، لزم أن يكون قولا له لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم. قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾[الإسراء:36]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾[الأعراف:33]، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

لقوله ρ في الحديث المشهور: "أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" الحديث[1].

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به.

فأما قوله ρ: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها1 دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي ρ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (ص 382، ج 6) من مجموع ابن قاسم: (تعيينها ليس من كلام النبي ρ باتفاق أهل المعرفة بحديثه) وقال قبل ذلك (ص 379) : (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه) اهـ. وقال ابن حجر في "فتح الباري" (ص 215، ج 11، ط السلفية) : (ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج) اه.

ولما لم يصح تعيينها عن النبي ρ اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسما مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ρ.

فمن كتاب الله تعالى:

الله ... الأحد ... الأعلى ... الأكرم ... الإله ... الأول – الآخر ... الظاهر ... الباطن ... البارئ ... البر ... البصير – التواب ... الجبار ... الحافظ ... الحسيب ... الحفيظ ... الحفي – الحق ... المبين ... الحكيم ... الحليم ... الحميد ... الحي – القيوم ... الخبير ... الخالق ...

---

[1] رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

الخلاق ... الرؤوف ... الرحمن – الرحيم ... الرزاق ... الرقيب ... السلام ... السميع ... الشاكر – الشكور ... الشهيد ... الصمد ... العالم ... العزيز ... العظيم – العفو ... العليم ... العلي ... الغفار ... الغفور ... الغني – الفتاح ... القادر ... القاهر ... القدوس ... القدير ... القريب – القوي ... القهار ... الكبير ... الكريم ... اللطيف ... المؤمن – المتعالي ... المتكبر ... المتين ... المجيب ... المجيد ... المحيط – المصور ... المقتدر ... المقيت ... الملك ... المليك ... المولى – المهيمن ... النصير ... الواحد ... الوارث ... الواسع ... الودود – الوكيل ... الولي ... الوهاب ... ...

ومن سنة رسول الله ρ:

الجميل، الجواد، الحكم، الحييُ، الرب، الرفيق، السُّبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر.

هذا ما اخترناه بالتتبع: واحد وثمانون اسما في كتاب الله تعالى، وثمانية عشر اسما في سنة رسول الله ρ، وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي) ، لأنه إنما ورد مقيدًا في قوله تعالى عن إبراهيم: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً} وكذلك (المحسن) لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء.

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافا مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل عما يجب فيها.

وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) ، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) ، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه:8]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[الحشر:24] فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:180]، ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦٠﴾[النحل:60]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ٥﴾[الأحقاف:5]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢١﴾[النحل:20 - 21]، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾[مريم:42]، وعلى قومه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧﴾[الأنبياء:66 – 67].

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:58]، وقوله عن موسى: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طه:52]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[فاطر:44]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠﴾[الزُّخرُف:80]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: "إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور"، وقال: "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا".

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:64]، وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ١٨١﴾[آل عمران:181].

ونزّه نفسه عمّا يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات:180 - 181]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾[المؤمنون:91].

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٥٤﴾[آل عمران:54]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾[الطارق:15 - 16]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف:182 - 183]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:142]، وقوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:14 – 15].

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾[الأنفال:71] فقال: فأمكن منهم، ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقا.

وبذا عرف أن قول بعض العوام: "خان الله من يخون": منكر فاحش يجب النهي عنه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧﴾[لقمان:27] .

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:22]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[البقرة:210]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران:11]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج:65]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾[البروج:12]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:185]، وقال النبي ρ: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا".

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ρ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء:136]، فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله ρ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ρ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عز وجل.

وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرًا ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل، فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ρ عن الله تعالى، فإن النبي ρ أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبرًا، وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ρ، وكلها صفات نقص في حقه؛ كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:58]، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾[الكهف:49] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[فاطر:44] فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤﴾[فاطر:44]، لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال.

فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:11]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾[الإخلاص:4].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾[مريم:91].

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾[الأنبياء:16]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ٣٨﴾[ق:38].

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[يس:82]. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾[الإنسان:31].

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى:11]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾[النحل:17]، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم:65]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص:4].

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل؛ وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى:11].

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل.

وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠﴾[طه:110]، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء:36]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟.

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[طه:5] كيف استوى؟، أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه)، ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضا: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول) . وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾[فُصِّلَت:36].

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوز القرآن والحديث). انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[طه:5]، وقول النبي ρ : "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" الحديث.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[الفجر:22]، وقوله: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة:22].

شرح

الأربعين النووية

للحافظ محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي

لفضيلة الشيخ

أحمد بن يحيى الزهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ".

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بَرْدِزبَه الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ [رقم:1]، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمٌ بنُ الْحَجَّاج بن مُسْلِم الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ [رقم:1907] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي "صَحِيحَيْهِمَا" اللذِينِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَيْضًا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قَلَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:8] .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:8]، وَمُسْلِمٌ [رقم:16].

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:3208]، وَمُسْلِمٌ [رقم:2643].

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2697]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1718].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ:"مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" .

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:52]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1599].

الحديث السابع

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: 55].

الحديث الثامن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:25]، وَمُسْلِمٌ [رقم:22].

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:7288]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1337].

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1015].

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "دَعْ مَا يُرِيبُك إلَى مَا لَا يُرِيبُك".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2520]، وَالنَّسَائِيّ [رقم: 5711]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مِنْ حُسْنِ إسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: 2318] ، ابن ماجه [رقم:3976].

الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45].

الحديث الرابع عشر

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ [يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله] إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6878]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1676].

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم:47].

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ" .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6116].

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1955].

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:1987] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث التاسع عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كُنْت خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامِ! إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2516] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: "احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامك، تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

الحديث العشرون

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْت" .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:3483].

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ" .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:38].

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْت رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ، وَحَرَّمْت الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:15].

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:223].

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2577].

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَيْضًا، "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1006].

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2989]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1009].

الحديث السابع والعشرون

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2553]. وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ τ قَالَ: أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ؟ قُلْت: نَعَمْ. فقَالَ: استفت قلبك، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ [رقم:227/4]، وَالدَّارِمِيّ [246/2] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [رقم:4607]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم:266] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2616] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بن نَاشِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا".

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ ْ"في سننه" [184/4]، وَغَيْرُهُ.

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّك النَّاسُ" .

حديث حسن، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ [رقم:4102]، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ.

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ [راجع رقم:2341]، وَالدَّارَقُطْنِيّ [رقم:228/4]، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ [746/2] فِي "الْمُوَطَّإِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ [في"السنن" 252/10]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:49].

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2564].

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2699] بهذا اللفظ.

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6491]، وَمُسْلِمٌ [رقم:131]، في "صحيحيهما" بهذه الحروف.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6502].

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ [رقم:2045]، وَالْبَيْهَقِيّ ["السنن" 7].

الحديث الأربعون

عَنْ ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6416].

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ".

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتنِي وَرَجَوْتنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتنِي غَفَرْتُ لَك، يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّك لَوْ أَتَيْتنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً" .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:3540]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتَ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ" .

رواه البخاري [رقم: 6732]، ومسلم [رقم: 1615].

الحديث الرابع والأربعون

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ".

رواه البخاري [رقم:2646]، ومسلم [رقم:1444].

الحديث الخامس والأربعون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمِ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ".

رواه البخاري [رقم: 2236]، ومسلم [رقم:1581] .

الحديث السادس والأربعون

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ" .

رواه البخاري [رقم:4343] .

الحديث السابع والأربعون

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" .

رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: 132/4]، والتِّرْمِذِيُّ [رقم: 2380]، وابْنُ مَاجَهْ [رقم: 3349]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الحديث الثامن والأربعون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ".

رواه البخاري [رقم:34]، ومسلم [رقم:58].

الحديث التاسع والأربعون

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزَقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا".

رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: 1 0 و52]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم:2344]، وَالنَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى" كَمَا فِي "التُّحْفَة: [رقم: 79/8]، وَابْنُ مَاجَهْ [رقم: 4164]، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (730)، وَالْحَاكِمُ 418، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحديث الخمسون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: "أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رجلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

رواه أحمد [رقم: 188 و 190].

متون
الأسبوع الثاني

فضائل الصحابة من صحيح البخاري

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري

(٢٥٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن صلفيق الظفيري

١٦ ـ باب ذكر أصهارِ النبيِّ ﷺ. منهم أبو العاصِ بن الربيع

٣٧٢٩ - حدَّثنا أبو اليَمانِ أخبرَنا شعيبٌ عن الزُّهريِّ قال: حدَّثني عليُّ بن حُسين أن المِسْوَرَ بن مَخْرمةَ قال: «إن علياً خطبَ بنتَ أبي جهل ، فسمعَتْ بذلكَ فاطمةُ ، فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالتْ: يَزعمُ قومُك أنَّك لا تغضَبُ لبناتِك ، وهٰذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل. فقام رسولُ اللهِ ﷺ ، فسمِعتهُ حين تشهدَ يقول: أمَّا بعدُ أنكحتُ أبا العاصِ بنَ الرَّبيع فحدَّثَني وصدَقَني ، وإنَّ فاطمةَ بَضْعةٌ مني ، وإني أكرَهُ أن يَسوءَها ، واللهِ لا تجتمعُ بنتُ رسولِ اللهِ وبنتُ عدوِّ الله عندَ رجلٍ واحدٍ. فتركَ عليٌّ الخِطبةَ».

وزادَ محمدُ بن عمرِو بن حلْحَلةَ عن ابنِ شهابٍ عن عليِّ بن الحسينِ عن مِسوَرٍ: «سمعتُ النبيَّ ﷺ وذكرَ صِهراً لهُ من بني عبدِ شمسٍ فأثنىٰ عليهِ في مُصاهرَتهِ فأحسَنَ ، قال: حدَّثَني فصدَقني ، ووعدَني فوَفىٰ لي». [انظر الحديث: ٩٢٦ ، ٣١١٠ ، ٣٧١٤].

١٧ ـ باب مَناقبِ زيدِ بنِ حارثةَ مَولىٰ النبيِّ ﷺ
وقال البَراءُ عن النبيِّ ﷺ: «أنتَ أخونا ومَولانا»

٣٧٣٠ - حدَّثنا خالدُ بن مَخلَدٍ حدَّثَنا سليمانُ قال: حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ دِينارٍ عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنه قال: «بعثَ النبيُّ ﷺ بَعثاً وأمَّرَ عليهم أُسامةَ بنَ زيدٍ ، فطَعنَ بعضُ الناسِ في إمارتهِ ، فقال النبيُّ ﷺ: إن تَطعنوا في إمارتهِ فقد كنتم تطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبلُ. وايمُ اللهِ إنْ كان لَخليقاً للإمارة ، وإنْ كان لمنْ أحبِّ الناسِ إليَّ ، وإنَّ هٰذا لَمن أحبِّ الناسِ إليَّ بَعدَهُ». [الحديث ٣٧٣٠ ـ أطرافه في: ٤٢٥٠ ، ٤٤٦٨ ، ٤٤٦٩ ، ٦٦٢٧ ، ٧١٨٧].

٣٧٣١ - حدَّثنا يحيىٰ بن قَزَعة حدَّثَنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن الزهريِّ عن عُروةَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «دخلَ عليَّ قائفٌ والنبيُّ ﷺ شاهِدٌ وأسامةُ بن زيدٍ وزيدُ بن حارثةَ مُضْطَجِعانِ فقال: إنَّ هٰذِهِ الأقدام بعضُها مِنْ بعض ، قال: فسُرَّ بذٰلكَ النبيُّ ﷺ وأعجبَهُ ، فأخبرَ بهِ عائشةَ». [انظر الحديث: ٣٥٥٥].

١٨ ـ باب ذِكر أسامةَ بن زيد

٣٧٣٢ ـ حدَّثنا قُتَيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا ليثٌ عنِ الزُّهريِّ عن عروةَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «أنَّ قُرَيشاً أهمَّهم شأنُ المخزوميةِ فقالوا: من يَجترىء عليه إلا أسامةُ بن زيدٍ حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ». [انظر الحديث: ٢٦٤٨ ، ٣٤٧٥].

٣٧٣٣ ـ وحدَّثنا عليٌّ حدَّثنا سفيانُ قال: ذهبتُ أسألُ الزُّهريَّ عن حديثِ المخزوميةِ فصاحَ بي ، قلتُ لسفيانَ: فلم تحملْه عن أحد؟ قال: وجدتهُ في كتاب كان كتبه أيوبُ بن موسىٰ عنِ الزُّهريِّ عن عروةَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: «أنَّ امرأةً من بني مخزوم سَرَقت ، فقالوا: من يُكلِّمُ فيها النبيَّ ﷺ؟ فلم يَجترىء أحدٌ أن يُكلمهُ فكلمهُ أسامةُ بن زيد ، فقال: إن بني إسرائيلَ كان إذا سرق فيهمُ الشريفُ تركوه ، وإذا سَرَقَ فيهمُ الضعيفُ قطعوه. لو كانت فاطمة لقطعتُ يدَها». [انظر الحديث: ٢٦٤٨ ، ٣٤٧٥ ، ٣٧٣٢].

٣٧٣٤ ـ حدَّثنا الحسنُ بن محمد حدَّثنا أبو عبَّادٍ يحيىٰ بنُ عبَّادٍ حدَّثَنا الماجِشونُ أخبرَنا عبدُ اللهِ بن دِينارٍ قال: «نَظَرَ ابنُ عمرَ يوماً ـ وهوَ في المسجد ـ إلى رجلٍ يَسحبُ ثيابَهُ في ناحيةٍ منَ المسجدِ فقال: انظُرْ من هٰذا؟ ليتَ هٰذا عندي. قال له إنسان: أما تعرِفُ هٰذا يا أبا عبد الرحمٰنِ؟ هٰذا محمدُ بن أُسامةَ. قال: فطأطأَ ابنُ عمرَ رأسَهُ ونَقَرَ بيدَيهِ في الأرض ، ثم قال: لو رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ لأحبَّه».

٣٧٣٥ ـ حدَّثنا موسىٰ بنُ إسماعيلَ حدَّثَنا مُعتمرٌ قال: سمعتُ أبي حدَّثَنا أبو عثمانَ عن أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهما حدَّثَ عنِ النبيِّ ﷺ: «أنَّه كان يأخذُهُ والحسنَ فيقول: اللَّهمَّ أحبَّهما فإنِّي أُحبُّهما». [الحديث ٣٧٣٥ ـ طرفاه في: ٣٧٤٧ ، ٦٠٠٣].

٣٧٣٦ ـ وقال نُعَيمٌ عن ابن المباركِ أخبرَنا مَعْمرٌ عنِ الزُّهريِّ أخبرَني مَولى لأسامةَ بن زيدٍ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ أيْمَنَ بنِ أمِّ أيمنَ ـ وكان أيمنُ بنُ أمِّ أيمنَ أخا أُسامةَ بن زيدٍ لأُمهِ ـ وهو رجُلٌ منَ الأنصارِ، فرآهُ ابنُ عمرَ لم يُتمَّ رُكوعَهُ ولا سجودَه فقال: أعِدْ». [الحديث ٣٧٣٦ ـ طرفه في: ٣٧٣٧].

٣٧٣٧ ـ قال أبو عبدِ اللهِ: وحدَّثني سليمانُ بن عبدِ الرحمنِ حدَّثَنا الوَليدُ بن مسلمٍ حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بن نَمرٍ عن الزُّهريِّ حدَّثني حَرمَلةُ مَولىٰ أسامةَ بن زيدٍ أنَّهُ بينما هوَ معَ عبدِ اللهِ بن عمرَ إذ دخَلَ الحجَّاجُ بن أيمنَ، فلم يُتمِّمْ ركوعَهُ ولا سُجودَهُ فقال: أعِدْ. فلمّا وَلَّى قال لي ابنُ عمرَ: مَنْ هٰذا؟ قلتُ: الحجاجُ بنُ أيمنَ بنِ أمِّ أيمنَ. فقال ابن عمرَ: لو رأَى هٰذا رسولُ اللهِ ﷺ لأحبَّه. فذَكرَ حُبَّهُ وما وَلَدتهُ أُمُّ أيمن».

قال: وزادَني بعضُ أصحابي عن سُليمانَ «وكانت حاضِنةَ النبيِّ ﷺ». [انظر الحديث: ٣٧٣٦].

١٩ ـ باب مَناقب عبدِ اللهِ بن عمرَ بن الخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنهما

٣٧٣٨ ـ حدَّثنا محمدٌ حدَّثَنا إسحاقُ بن نصرٍ حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ عن مَعمرٍ عن الزُّهريِّ عن سالمٍ عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: «كان الرجُلُ في حياةِ النبيِّ ﷺ إذا رأىٰ رُؤيا قصَّها على النَّبيِّ ﷺ، فتمنَّيتُ أن أرىٰ رُؤْيا أقصُّها على النبيِّ ﷺ، وكنتُ غُلاماً أعْزَبَ، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ النبيِّ ﷺ، فرأيتُ في المنام كأنَّ مَلَكَين أخَذاني فذَهبا بي إلى النار، فإذا هيَ مَطْويةٌ كطَيِّ البِئرِ، وإذا لها قَرْنانِ كقَرْني البئرِ، وإذا فيها ناسٌ قد عرَفتُهم، فجعلتُ أقول: أعُوذُ باللهِ من النَّارِ، أعوذُ باللهِ منَ النارِ. فَلقِيَهما مَلَكٌ آخَرُ فقال لي: لَنْ تُراعَ. فقَصَصْتُها على حَفْصةَ». [انظر الحديث: ٤٤٠، ١١٢١، ١١٥٦].

٣٧٣٩ ـ «فقَصَّتْها حَفصةُ على النبيِّ ﷺ فقال: نِعمَ الرجُلُ عبدُ اللهِ، لو كان يُصَلِّي منَ الليل. قال سالمٌ: فكانَ عبدُ اللهِ لا يَنامُ منَ الليلِ إلاَّ قَليلاً». [انظر الحديث: ١٢٢، ١١٥٧].

٣٧٤٠ ـ ٣٧٤١ ـ حدَّثنا يحيىٰ بنُ سُليمانَ حدَّثَنا ابن وَهبٍ عن يُونُسَ عنِ الزُّهريِّ عن سالمٍ عنِ ابنِ عمرَ عن أختهِ حَفصةَ «أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: إنَّ عبدَ اللهِ رجُلٌ صالح».

[انظر الحديث: ٤٤٠، ١١٢١، ١١٥٦، ٣٧٣٨].

٢٠ ـ باب مَناقِب عَمَّارٍ وحُذَيفةَ رضي الله عنهما

٣٧٤٢ ـ حدَّثنا مالكُ بن إسماعيلَ حدَّثَنا إسرائيلُ عن المغيرةِ عن إبراهيمَ عن علقمةَ قال: «قدِمتُ الشامَ ، فصلَّيتُ رَكعتَين ، ثمَّ قلتُ: اللَّهمَّ يَسِّرْ لي جَليساً صالحاً. فأتيتُ قوماً فجلَستُ إليهم ، فإذا شيخٌ قد جاءَ حتىٰ جَلسَ إلى جَنبي ، قلتُ: مَنْ هٰذا؟ قالوا: أبو الدَّرْداءِ. فقلتُ: إني دَعوتُ اللهَ أن يُيسِّرَ لي جَليساً صالحاً ، فيسَّرَكَ لي. قال: ممن أنت؟ قلتُ: مِنْ أهلِ الكوفة. قال: أَوَليسَ عندَكم ابنُ أمِّ عبدٍ صاحبُ النَّعلَين والوسادِ والمِطهَرَةَ؟ أفيكم الذي أجارَهُ اللهُ منَ الشيطان ، يعني: على لسانِ نبيِّهِ ﷺ؟ أَوَليسَ فيكم صاحبُ سِرِّ النبيِّ ﷺ الذي لا يَعلم أحدٌ غيرُه؟ ثم قال: كيفَ يَقرأُ عبدُ اللهِ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ فقَرَأت عليه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ قال: واللهِ لقد أقرَأنِيها رسولُ اللهِ ﷺ مِن فيهِ إلى فِيَّ». [انظر الحديث: ٣٢٨٧].

٣٧٤٣ ـ حدَّثنا سُليمانُ بنُ حربٍ حدَّثَنا شعبةُ عن مُغِيرةَ عن إبراهيمَ قال: «ذَهَبَ عَلقمةُ إلى الشامِ فلمّا دخلَ المسجدَ قال: اللَّهمَّ يَسِّرْ لي جَليساً صالحاً. فجلَسَ إلى أبي الدَّرْداءِ ، فقالَ أبو الدرداءِ: ممن أنت؟ قال: مِنْ أهلِ الكوفةِ. قال: أليسَ فيكم ـ أو منكم ـ صاحبُ السرِّ الذي لا يَعلمهُ غيرُه؟ يَعني حُذيفةَ. قال: قلتُ: بَلىٰ. قال: أليسَ فيكم ـ أو منكمْ ـ الذي أجارَهُ اللهُ على لسان نبيِّه ﷺ؟ يعني: منَ الشيطان ، يعني: عماراً ، قلتُ: بَلىٰ. قال: أليسَ فيكم ـ أو منكم ـ صاحبُ السِّواكِ ، والوسادِ أوِ السِّرار؟ قال: بلىٰ. قال: كيفَ كان عبدُ اللهِ يَقرأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؟ قلت: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ ، قال: ما زال بي هٰؤُلاءِ حتىٰ كادُوا يَسْتنزِلونني عن شيءٍ سمعتهُ منَ النبيِّ ﷺ». [انظر الحديث: ٣٢٨٧ ، ٣٧٤٢].

---

٢١ ـ باب مَناقِب أبي عُبيدةَ بن الجَرَّاح رضيَ اللهُ عنه

٣٧٤٤ ـ حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ حدَّثَنا عبدُ الأعلىٰ حدَّثنا خالدٌ عن أبي قِلابة قال: حدَّثني أنسُ بن مالكٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إن لكلِّ أمةٍ أميناً، وإن أميننا أيَّتُهَا الأمَّةُ أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاح». [الحديث ٣٧٤٤ ـ طرفاه في: ٤٣٨٢، ٧٢٥٥].

٣٧٤٥ ـ حدَّثنا مُسلمُ بن إبراهيمَ حدَّثَنا شُعبةُ عن أبي إسحاقَ عن صِلَةَ عن حُذيفةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ لأهلِ نَجْرانَ: لأبعثنَّ ـ يعني: عليكم، يعني: أميناً ـ حقَّ أمين. فأشرَفَ أصحابُهُ، فبعثَ أبا عُبيدةَ رضيَ اللهُ عنه». [الحديث ٣٧٤٥ ـ أطرافه في: ٤٣٨٠، ٤٣٨١، ٧٢٥٤].

باب ذِكر مُصعَبِ بنِ عُمَير

٢٢ ـ باب مَناقِب الحسنِ والحسينِ رضيَ اللهُ عنهما

قال نافعُ بنُ جُبَيرٍ عن أبي هريرةَ: «عانقَ النبيُّ ﷺ الحسنَ».

٣٧٤٦ ـ حدَّثنا صدَقةُ حدَّثَنا ابن عُيَينةَ حدَّثَنا أبو موسىٰ عن الحسنِ سمعَ أبا بكرةَ «سمعتُ النبيَّ ﷺ على المنبرِ والحسنُ إلى جَنبهِ، يَنظر إلى الناسِ مرةً وإليهِ مرةً ويقول: ابني هٰذا سَيِّد، ولعل اللهَ أن يُصلِحَ بهِ بينَ فِئَتينِ منَ المسلمين». [انظر الحديث: ٢٧٠٤، ٣٦٢٩].

٣٧٤٧ ـ حدَّثنا مسدَّدٌ حدَّثنا المعتمرُ قال: سمعتُ أبي قال: حدَّثَنا أبو عثمانَ «عن أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ أنه كان يأخُذهُ والحسنَ ويقول: اللَّهمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما. أو كما قال». [انظر الحديث: ٣٧٣٥].

٣٧٤٨ ـ حدَّثني محمدُ بن الحسين بنِ إبراهيمَ قال: حدَّثني حسينُ بن محمدٍ حدَّثنا جَريرٌ عن محمدٍ عن أنس بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه «أُتِيَ عُبَيدُ اللهِ بن زياد برأسِ الحسينِ بن عليٍّ فجُعِلَ في طَستٍ فجَعَلَ يَنكتُ وقال في حُسنهِ شيئاً، فقال أنسٌ: كان أشبَههم برسولِ اللهِ ﷺ، وكان مخضوباً بالوسْمة».

٣٧٤٩ ـ حدَّثنا حَجَّاجُ بن المنهالِ حدَّثنا شعبةُ قال: أخبرني عدِيٌّ قال: سمعتُ البراءَ رضيَ اللهُ عنه قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بن عليٍّ على عاتِقِهِ يقول: اللَّهمَّ إني أحبُّه فأحبَّه».

٣٧٥٠ ـ حدَّثنا عَبدانُ أخبرَنا عبدُ اللهِ قال: أخبرني عمرُ بن سعيد بن أبي حسين عنِ ابنِ أبي مُلَيكةَ عن عُقبةَ بنِ الحارثِ قال: «رأيتُ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنه وحَملَ الحسنَ وهو يقول: بأبي شبيهٌ بالنبيِّ. ليس شبيهٌ بعليّ. وعليٌّ يَضحك». [انظر الحديث: ٣٥٤٢].

٣٧٥١ ـ حدَّثني يحيىٰ بنُ مَعين وصدَقةُ قالا: أخبرَنا محمدُ بن جعفرٍ عن شعبةَ عن واقدٍ عن أبيهِ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: «قال أبو بكرٍ: ارقُبوا محمداً ﷺ في أهلِ بيتِهِ».

[انظر الحديث: ٣٧١٣].

٣٧٥٢ ـ حدَّثنا إبراهيمُ بن موسىٰ أخبرَنا هشامُ بن يوسفَ عن مَعْمرٍ عن الزُّهريِّ عن أنسٍ. وقال عبدُ الرزَّاقِ: أخبرَنا مَعْمرٌ عنِ الزهريِّ أخبرَني أنسٌ قال: «لم يكنْ أحدٌ أشبَهَ بالنبيِّ ﷺ من الحسنِ بن عليٍّ».

٣٧٥٣ ـ حدَّثنا محمدُ بن بَشَّارٍ حدَّثَنا غُندَرٌ حدَّثَنا شُعبةُ عن محمدِ بن أبي يعقوبَ سمعتُ ابنَ أبي نُعيمٍ سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ وسألَهُ عنِ المُحْرِمِ ـ قال شُعبةُ أَحسبُهُ يَقتلُ الذُّبابَ ـ فقال: أهلُ العِراقِ يسألون عنِ الذُّبابِ وقد قَتَلوا ابنَ ابنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقال النبيُّ ﷺ: هما رَيحانَتايَ منَ الدنيا». [الحديث ٣٧٥٣ ـ طرفه في: ٥٩٩٤].

---

٢٣ ـ باب مناقب بِلالِ بن رَباحٍ مولى أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهما
وقال النبيُّ ﷺ: «سمعتُ دَفَّ نَعلَيك بينَ يَدَيَّ في الجنة»

٣٧٥٤ ـ حدَّثنا أبو نُعَيم حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي سلمةَ عن محمدِ بن المنكَدِرِ أخبرَنا جابرُ بن عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما قال: «كان عمرُ يقولُ: أبو بكرٍ سيِّدُنا ، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني: بِلالاً».

٣٧٥٥ ـ حدَّثَنا ابن نُمَيرٍ عن محمدِ بن عُبَيدٍ حدَّثَنا إسماعيلُ عن قيسٍ «إنَّ بِلالاً قال لأبي بكرٍ: إن كنتَ إنما اشتريتَني لنفسك فأمسِكْني ، وإن كنتَ إنما اشتريتَني لله فدَعني وعملَ اللهِ».

٢٤ ـ باب ذكر ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما

٣٧٥٦ ـ حدَّثَنا مُسدَّدٌ حدَّثنا عبدُ الوارثِ عن خالدٍ عن عِكرِمةَ عنِ ابن عبَّاسٍ قال: «ضَمني النبيُّ ﷺ إلى صدرِهِ وقال: اللَّهمَّ علِّمْهُ الحكمةَ. حدَّثنا أبو مَعمرٍ حدَّثَنا عبدُ الوارثِ: «وقال: اللَّهم علِّمه الكتاب»: حدَّثنا موسىٰ حدَّثَنا وُهَيبٌ عن خالد.. مثلَه. والحكمة: الإصابةُ في غير النبوَّةِ. [انظر الحديث: ٧٥ ، ١٤٣].

---

٢٥ ـ باب مناقب خالدِ بن الوَليد رضيَ اللهُ عنه

٣٧٥٧ ـ حدَّثنا أحمدُ بن واقدٍ حدَّثنا حَمادُ بن زيدٍ عن أيوبَ عن حُميدِ بن هلال عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ النبيَّ ﷺ نَعىٰ زيداً وجَعفراً وابنَ رَواحة للناسِ قبلَ أن يأتِيَهم خبرُهم فقال: أخذَ الرايةَ زيدٌ فأصيبَ، ثمَّ أخَذَ جعفرٌ فأصيبَ، ثم أخذَ ابنُ رواحةَ فأصيبَ ـ وعيناهُ تَذْرِفَانِ ـ حتىٰ أخذَها سيفٌ من سيوفِ اللهِ حتىٰ فتحَ اللهُ عليهم».

[انظر الحديث: ١٢٤٦، ٢٧٩٨، ٣٠٦٣، ٣٦٣٠].

٢٦ ـ باب مناقب سالمٍ مَولىٰ أبي حُذيفةَ رضي اللهُ عنه

٣٧٥٨ ـ حدَّثَنا سليمانُ بن حربٍ حدَّثَنا شُعبةُ عن عمرِو بنِ مُرَّةَ عن إبراهيمَ عن مسروقٍ قال: «ذُكِرَ عبدُ اللهِ عند عبدِ اللهِ بن عمرٍو فقال: ذاك رجلٌ لا أزالُ أحبُّهُ بعدَ ما سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: استقرِئوا القرآنَ من أربعةٍ: من عبدِ اللهِ بن مسعود فبدأَ بهِ، وسالمٍ مولىٰ أبي حُذَيفةَ، وأبيٍّ بن كعبٍ، ومُعاذِ بن جبلٍ. قال: لاأدري، بدأ بأبيٍّ أو بمعاذ».

[الحديث ٣٧٥٨ ـ أطرافه في: ٣٧٦٠، ٣٨٠٦، ٣٨٠٨، ٤٩٩٩].

---

٢٧ ـ باب مناقب عبدِ اللهِ بن مسعود رضيَ اللهُ عنه

٣٧٥٩ ـ حدَّثنا حفصُ بن عمرَ حدَّثنا شُعبةُ عن سليمانَ قال: سمعتُ أبا وائل قال: سمعت مسروقاً قال عبدُ اللهِ بن عمرو: «إن رسولَ اللهِ ﷺ لم يكنْ فاحشاً ولا مُتفحِّشاً. وقال: إن مِن أحبِّكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً». [انظر الحديث: ٣٥٥٩].

٣٧٦٠ ـ «وقال: استقرِئوا القرآن من أربعة: من عبدِ الله بن مسعود، وسالمٍ مولىٰ أبي حُذَيفة، وأُبيٍّ بن كعب، ومعاذِ بن جبَل». [انظر الحديث: ٣٧٥٨].

٣٧٦١ ـ حدَّثنا موسىٰ عن أبي عَوانةَ عن مُغيرةَ عن إبراهيمَ عن علقمةَ: «دخلتُ الشامَ فصلَّيتُ ركعتَين فقلتُ: اللَّهمَّ يَسِّرْ لي جَليساً. فرأيتُ شيخاً مُقبِلاً، فلمّا دَنا قلتُ: أرجو أن يكونَ استجابَ اللهُ. قال: مِن أينَ أنت؟ قلتُ: من أهلِ الكوفة، قال: أفلم يكنْ فيكم صاحبُ النعلَين والوِسادِ والمِطْهرة؟ أوَ لم يكنْ فيكُم الذي أُجيرَ من الشيطان؟ أوَلم يكن فيكم صاحبُ السرِّ الذي لا يَعلمهُ غيره؟ كيف قرأ ابنُ أمِّ عبد ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ فقرأتُ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ قال: أقرأنيها النبيُّ ﷺ فاهُ إلى فيّ، فما زالَ هٰؤلاءِ حتىٰ كادوا يَرُدُّونني». [انظر الحديث: ٣٢٨٧، ٣٧٤٢، ٣٧٤٣].

٣٧٦٢ ـ حدَّثنا سليمانُ بن حربٍ حدَّثنا شعبةُ عن أبي إسحاقَ عن عبدِ الرحمٰنِ بن يزيدَ قال: «سألْنا حُذَيفةَ عن رجلٍ قريبِ السَّمْت والهَدْيِ منَ النبيِّ ﷺ حتىٰ نأخذَ عنه، فقال: ما أعرِفُ أحداً أقربَ سَمتاً وهَدْياً ودَلاًّ بالنبيِّ ﷺ منِ ابن أمِّ عبد».

[الحديث ٣٧٦٢ ـ طرفه في: ٦٠٩٧].

٣٧٦٣ ـ حدَّثني محمدُ بنُ العَلاءِ حدَّثنا إبراهيمُ بن يوسُفَ بنِ أبي إسحاقَ قال: حدَّثني أبي عن أبي إسحاقَ قال: حدَّثني الأسودُ بن يزيدَ قال: سمعتُ أبا موسىٰ الأشعريَّ رضيَ اللهُ عنه يقول: «قَدِمتُ أنا وأخي منَ اليمنِ، فمكثنا حِيناً ما نَرىٰ إلاَّ أنَّ عبدَ اللهِ بن مسعودٍ رجُلٌ من أهل بيتِ النبيِّ ﷺ، لِما نرَىٰ من دُخولهِ ودخولِ أمّه على النبيِّ ﷺ».

[الحديث ٣٧٦٣ ـ طرفه في: ٤٣٨٤].

---

٢٨ ـ باب ذِكر مُعاويةَ رضيَ اللهُ عنه

٣٧٦٤ ـ حدَّثنا الحسنُ بن بِشرٍ حدَّثَنا المُعافىٰ عن عثمانَ بنِ الأسودِ عنِ ابنِ أبي مُلَيْكةَ قال: «أَوتَرَ مُعاويةُ بعدَ العشاءِ برَكعةٍ وعندَهُ مَولىً لابنِ عبَّاسٍ، فأَتىٰ ابنَ عباس، فقال: دَعهُ فإنهُ قد صحِبَ رسولَ اللهِ ﷺ». [الحديث ٣٧٦٤ ـ طرفه في: ٣٧٦٥].

٣٧٦٥ ـ حدَّثنا ابنُ أبي مريمَ حدَّثَنا نافعُ بن عمرَ حدَّثني ابن أبي مُلَيكةَ: «قِيلَ لابن عبَّاسٍ: هل لكَ في أميرِ المؤمنينَ معاويةَ فإنه ما أَوترَ إلَّا بواحدةٍ، قال: إنه فقيه».

[انظر الحديث: ٣٧٦٤].

٣٧٦٦ ـ حدَّثنا عمرُو بن عبَّاسٍ حدَّثَنا محمدُ بن جعفرٍ حدَّثَنا شعبةُ عن أبي التَّيَّاحِ قال: سمعتُ حُمرانَ بن أبانَ عن معاويةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «إنكم لَتُصَلُّونَ صلاةً لقد صَحِبْنا النبيَّ ﷺ فما رأيناهُ يُصلِّيها، ولقد نهىٰ عنهما، يعني: الرَّكعتَينِ بعدَ العصر».

[انظر الحديث: ٥٨٧].

---

٢٩ ـ باب مناقب فاطمةَ عليها السلام

وقال النبيُّ ﷺ: «فاطمة سيِّدةُ نساء أهلِ الجنَّة»

٣٧٦٧ ـ حدَّثنا أبو الوليد حدَّثَنا ابن عُيَينةَ عن عمرِو بن دِينارٍ عن ابن أبي مُلَيكةَ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمةَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «فاطمةُ بَضعةٌ مني، فمن أغضَبها أغضَبَني». [انظر الحديث: ٩٢٦، ٣١١٠، ٣٧١٤، ٣٧٢٩].

٣٠ ـ باب فضلِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها

٣٧٦٨ ـ حدَّثنا يَحيىٰ بنُ بُكَيرٍ حدَّثَنا الليثُ عن يُونُسَ عن ابنِ شهابٍ قال أبو سَلمةَ: إنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «قال رسولُ اللهِ ﷺ يوماً: يا عائشُ هٰذا جِبرِيلُ يُقرِئُكِ السلامَ. فقلتُ: وعليهِ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاته، تَرى ما لا أرَىٰ. تُريدُ رسولَ اللهِ ﷺ».

[انظر الحديث: ٣٢١٧].

٣٧٦٩ ـ حدَّثنا آدمُ حدَّثَنا شُعبةُ قال. وحدَّثنا عمرٌو أخبرَنا شعبةُ عن عمرِو بن مُرَّةَ عن مُرَّةَ عن أبي موسىٰ الأشْعريِّ رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كَمُلَ منَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يَكمُلْ منَ النساءِ إلَّا مريمُ بنتِ عمرانَ وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ. وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعام». [انظر الحديث: ٣٤١١].

٣٧٧٠ ـ حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ عبدِ الله قال: حدَّثني محمدُ بن جعفرٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ أنه سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «فضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثريدِ على سائر الطعام». [الحديث ٣٧٧٠ ـ طرفاه في: ٥٤١٩، ٥٤٢٨].

٣٧٧١ ـ حدَّثنا محمدُ بن بَشَّارٍ حدَّثَنا عبدُ الوهابِ بن عبدِ المجيد حدَّثَنا ابنُ عَونٍ عن القاسم بن محمدٍ: «أنَّ عائشةَ اشتكَتْ، فجاء ابنُ عبَّاسٍ فقال: يا أُمَّ المؤمنين، تَقْدَمينَ على فَرَطِ صدق، على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى أبي بكر». [الحديث ٣٧٧١ ـ طرفاه في: ٤٧٥٣، ٤٧٥٤].

٣٧٧٢ ـ حدَّثنا محمدُ بن بَشَّارٍ حدَّثَنا غُندَرٌ حدَّثَنا شعبةُ عنِ الحَكَمِ سمعتُ أبا وائلٍ قال: «لما بَعَثَ عليٌّ عَمَّاراً والحسنَ إلى الكوفةِ ليستَنفِرَهم، خَطَبَ عمَّارٌ فقال: إني لأعلَم أنها زوجتُهُ في الدنيا والآخرة، ولٰكنَّ اللهَ ابتَلاكم لتتبعوهُ أو إيَّاها».

[الحديث ٣٧٧٢ ـ طرفاه في: ٧١٠٠، ٧١٠١].

٣٧٧٣ ـ حدَّثنا عُبَيدُ بن إسماعيلَ حدَّثَنا أبو أُسامةَ عن هشام عن أبيهِ: «عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنها استعارَتْ من أسماءَ قِلادةً فَهَلَكَتْ، فأرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ ناساً من أصحابهِ في طَلبِها، فأدركَتهمُ الصلاة، فصلوا بغير وُضوء. فلمّا أتَوا النبيَّ ﷺ شَكَوا ذٰلكَ إليه، فنزلَتَ آيةُ التيمُّم، فقال أُسَيدُ بن حُضَير: جَزاكِ اللهُ خيراً، فوَاللهِ ما نزَلَ بكِ أمرٌ قطُّ إلاَّ جعلَ اللهُ لكِ منه مَخْرجاً، وجَعلَ فيهِ للمسلمين بَـرَكة». [انظر الحديث: ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٦٧٢].

٣٧٧٤ ـ حدَّثَنا عُبَيدُ بن إسماعيلَ حدَّثَنا أبو أسامةَ عن هشام عن أبيه: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا كان في مرضهِ جَعلَ يَدورُ في نِسائهِ ويقول: أينَ أنا غَداً؟ حِرصاً على بيتِ عائشة. قالت عائشة: فلمّا كان يَوميَ سَكنَ». [انظر الحديث: ٨٩٠، ١٣٨٩، ٣١٠٠].

٣٧٧٥ ـ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن عبدِ الوهَّاب حدَّثنا حمَّادٌ حدَّثنا هِشامٌ عن أبيهِ قال: «كان الناسُ يَتحرّونَ بهدَاياهم يومَ عائشة. قالت عائشةُ: فاجتمعَ صَواحِبي إلى أمِّ سلمةَ فقُلنَ: يا أمَّ سلمةَ، واللهِ إنَّ الناسَ يَتحرّونَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنَّا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة، فمرِي رسولَ اللهِ ﷺ أن يأمُرَ الناسَ أن يُهدوا إليه حيثُ كان، أو حيثُ ما دار. قالت: فذكرَتْ ذلكَ أمُّ سلمةَ للنبيِّ ﷺ، قالت: فأعرَضَ عني. فلما عادَ إليَّ ذكَرْتُ له ذٰلك، فأعرضَ عني. فلما كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: يا أمَّ سلمةَ، لا تؤذِيني في عائشةَ، فإنه واللهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها».

[انظر الحديث: ٢٥٧٤، ٢٥٨٠، ٢٥٨١].

شرح

مختصر السيرة النبوية

لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

(١٢٠٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزام بن محمد الشويعر

مختصر السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اعلم رحمك الله: أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك. الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار.

[قصص الأولين والآخرين]

[قصة آدم وإبليس]

ومن أوضح ما يكون لذوي الفهم قصص الأولين والآخرين، قصص من أطاع الله وما فعل بهم، وقصص من عصاه وما فعل بهم. فمن لم يفهم ذلك ولم ينتفع به فلا حيلة فيه. كما قال تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} [ق: 36].

وقال بعض السلف: " القصص جنود الله " يعني أن المعاند لا يقدر يردها.

فأول ذلك: ما قص الله سبحانه عن آدم، وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض. ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله، وآخر القصة قوله تعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 38 - 39].

وفي الآية الأخرى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى - وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: 123 - 124] إلى قوله {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 127].

وهداه الذي وعدنا به: هو إرساله الرسل. وقد وفى بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فأولهم: نوح. وآخرهم: نبينا صلى الله عليه وسلم. فاحرص يا عبد الله على معرفة هذا الحبل، الذي بين الله وبين عباده، الذي من استمسك به سلم، ومن ضيعه عطب.

فاحرص على معرفة ما جرى لأبيك آدم، وعدوك إبليس، وما جرى لنوح وقومه، وهود وقومه، وصالح وقومه، وإبراهيم وقومه، ولوط وقومه، وموسى وقومه، وعيسى وقومه ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وقومه.

واعرف ما قصه أهل العلم من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وقومه وما جرى له معهم في مكة، وما جرى له في المدينة.

واعرف ما قص العلماء عن أصحابه وأحوالهم وأعمالهم. لعلك أن تعرف الإسلام والكفر. فإن الإسلام اليوم غريب وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر. وذلك هو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح.

وأما قصة آدم، وإبليس: فلا زيادة على ما ذكر الله في كتابه. ولكن قصة ذريته..

فأول ذلك أن الله أخرجهم من صلبه أمثال الذر، وأخذ عليهم العهود: أن لا يشركوا به شيئا، كما قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف: 172] ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج. ورأى فيهم رجلا من أنورهم. فسأله عنه؟ فأعلمه أنه داود. فقال: كم عمره؟ قال: ستون سنة. قال: وهبت له من عمري أربعين سنة، وكان عمر آدم ألف سنة. ورأى فيهم الأعمى والأبرص والمبتلى. قال: يا رب لم لا سويت بينهم؟ قال إني أحب أن أُشْكَر. فلما مضى من عمر آدم ألف سنة إلا أربعين أتاه ملك الموت. فقال: إنه بقي من عمري أربعون سنة. فقال: إنك وهبتها لابنك داود. فنسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته.

فلما مات آدم بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم، دين الإسلام. ثم كفروا بعد ذلك. وسبب كفرهم الغلو في حب الصالحين. كما ذكر الله تعالى في قوله {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23] وذلك أن هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم. فماتوا في شهر. فخاف أصحابهم من نقص الدين بعدهم.

فصوروا صورة كل رجل في مجلسه لأجل التذكرة بأقوالهم وأعمالهم إذا رأوا صورهم، ولم يعبدوهم. ثم حدث قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم من قبلهم، ولم يعبدوهم. ثم طال الزمان، ومات أهل العلم. فلما خلت الأرض من العلماء: ألقى الشيطان في قلوب الجهال: أن أولئك الصالحين ما صوروا صور مشايخهم إلا ليستشفعوا بهم إلى الله، فعبدوهم.

فلما فعلوا ذلك: أرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام، ليردهم إلى دين آدم وذريته الذين مضوا قبل التبديل، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه، ثم عَمَرَ نوح وأهلُ السفينة الأرض، وبارك الله فيهم، وانتشروا في الأرض أممًا، وبقوا على الإسلام مدة لا ندري ما قدرها؟

ثم حدث الشرك. فأرسل الله الرسل. وما من أمة إلا وقد بعث الله فيها رسولا يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك. كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36] وقال تعالى {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ} [المؤمنون: 44] الآية.

ولما ذكر القصص في سورة الشعراء ختم كل قصة بقوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 8]

فقص الله سبحانه ما قص لأجلنا. كما قال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} [يوسف: 111] الآية

ولما أنكر الله على أناس من هذه الأمة – في زمن النبي صلى الله عليه وسلم – أشياء فعلوها قال {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ} [التوبة: 70].

وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على أصحابه قصص من قبلهم، ليعتبروا بذلك.

وكذلك أهل العلم في نقلهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جرى له مع قومه، وما قال لهم، وما قيل له.

وكذلك نقلهم سيرة الصحابة، وما جرى لهم مع الكفار والمنافقين، وذكرهم أحوال العلماء بعدهم. كل ذلك لأجل معرفة الخير والشر.

إذا فهمت ذلك:

فاعلم أن كثيرا من الرسل وأممهم لا نعرفهم؛ لأن الله لم يخبرنا عنهم لكن أخبرنا عن عاد، التي لم يخلق مثلها في البلاد. فبعث الله إليهم هودا عليه السلام. فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه وبقي التوحيد في أصحاب هود إلى أن عُدم بعد مدة لا ندري كم هي؟ وبقي في أصحاب صالح. إلى أن عدم مدة لا ندري كم هي؟

[قصة إبراهيم عليه السلام وأحواله]

ثم بعث الله إبراهيم عليه السلام، وليس على وجه الأرض يومئذ مسلم. فجرى عليه من قومه ما جرى، وآمنت به امرأته سارة. ثم آمن له لوط عليه السلام، ومع هذا نصره الله، ورفع قدره، وجعله إماما للناس. ومنذ ظهر إبراهيم عليه السلام لم يعدم التوحيد في ذريته. كما قال تعالى {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: 28]

فإذا كان هو الإمام فنذكر شيئا من أحواله. لا يستغني مسلم عن معرفتها. فنقول:

في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لم يكذب إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله قوله: {إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات: 89] وقوله: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} [الأنبياء: 63] وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبَّار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي: يغلبني عليك، فإن سألك. فأخبريه: أنكِ أختي. فإنكِ أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه. فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك. فأرسل إليها، فأُتِيَ بها. فقام إبراهيم إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فَقُبِضَتْ يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله: أن لا أضرك. ففعلت، فعاد: فَقُبِضَتْ يده أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك، فعاد فَقُبِضَتْ يده أشد من القبضتين الأولتين. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي، ولك الله أن لا أضرك، ففعلت. فأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها، فقال له: إنك إنما جئتني بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطاها هاجر. فأقبلت. فلما رآها إبراهيم. انصرف، فقال لها: مَهْيَم؟ قالت: خيرًا. كف الله يد الفاجر، وأخدم خادمًا».

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء

وللبخاري: «أن إبراهيم لما سئل عنها قال: هي أختي، ثم رجع إليها. فقال: لا تكذبي حديثي. فإني أخبرتهم أنك أختي. والله ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك. فأرسل بها إليه فقام إليها. فقامت تتوضأ وتصلي. فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ يد الكافر، فغطَّ حتى ركض برجله

الأرض. فقالت: اللهم إن يمت، يقال: هي قتلته. فأُرسِل. ثم قام إليها فقامت تتوضأ وتصلي، وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ هذا الكافر فغط حتى ركض برجله. فقالت: اللهم إن يمت يقال: هي قتلته. فأُرسِل في الثانية أو الثالثة. فقال: والله ما أرسلتم إليَّ إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر. فرجعت إلى إبراهيم، فقالت: أشَعُرْتَ؟ إن الله كبت الكافر، وأخدم وليدة. «

وكان عليه السلام في أرض العراق. وبعد ما جرى عليه من قومه ما جرى هاجر إلى الشام. واستوطنها، إلى أن مات فيها. وأعطته سارة الجارية التي أعطاها الجبار. فواقعها. فولدت له إسماعيل عليه السلام، فغارت سارة. فأمره الله بإبعادها عنها. فذهب بها وبابنها فأسكنها في مكة. ثم بعد ذلك وهب الله له ولسارة إسحاق عليه السلام، كما ذكر الله بشارة الملائكة له ولها بإسحاق. ومن وراء إسحاق يعقوب.

وفي الصحيح عن ابن عباس قال: «لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان: خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعه شَنّة فيها ماء. فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فَيَدِرُّ لبنها على صبيها، حتى قدم مكة. فوضعها تحت دَوْحة فوق زمزم في أعلى المسجد – وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء – ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء. ثم قَفّى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل. فلما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا – وفي لفظ: إلى من تَكِلنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيتُ – ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية، حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37]. وجعلت أم إسماعيل ترضعه

وتشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها، حتى إذا نَفَدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها. وجعلت تنظر إليه يَتَلَوَّى – أو قال يَتَلَبَّطَ – فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه. فوجدت الصفا أقرب جبل إليها، فقامت واستقبلت الوادي تنظر: هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدًا. فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها. ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي. ثم أتت المروة، فقامت عليها. فنظرت: هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات – قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فذلك سعي الناس بينهما – ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل؟ – تعني الصبي – فذهبت فنظرت. فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت فلم تقر نفسها. فقالت: لو ذهبت لَعَلِّي أحس أحدًا؟ فذهبت فصعدت الصفا. فنظرت. فلم تحس أحدًا. حتى أتمت سبعًا. ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل؟ فإذا هي بصوت. فقالت: أغِثْ إن كان عندك خير. فإذا بجبريل. قال: فقال بعقبه على الأرض. فانبثق الماء فذهبت أم إسماعيل فجعلت تحفر، فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم – أو قال: لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينًا معينًا – وفي حديثه: فجعلت تغرف الماء في سقائها – قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة. فإن ههنا بيتًا لله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، إن الله لا يضيع أهله. وكان

البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية. تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله. فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رفقة من جُرهم مقبلين من طريق كَداء،

فرأوا طائرا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء. لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَريّا، أو جريين . فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا، وقالوا لأم إسماعيل: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم – قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحب الأنس – فنزلوا. وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم. حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشَبَّ الغلام. وتعلم العربية منهم. وأنْفَسَهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل. وجاء إبراهيم – بعد ما تزوج إسماعيل – يطالع تَرِكَته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام، وقولي له يُغَيِّر عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ – كذا وكذا – فسألنا عنك، فأخبرته، وسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته: أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم. أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غَيّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي. وقد أمرني أن أفارقك. الحقي بأهلك، فطلقها. وتزوج منهم امرأة أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، فقال لأهله: إني مُطّلع تركتي. فجاء، فقال لامرأته: أين إسماعيل؟ قالت:

ذهب يصيد. قالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم – قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: بركة دعوة إبراهيم، فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب دعا لهم فيه – وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. قال: إذا جاء زوجك، فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم. شيخ حسن الهيئة – وأثنت عليه – فسألني عنك؟ فأخبرته. فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا بخير. قال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي. وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء. فوافق إسماعيل يَبْري نَبْلًا له تحت دَوْحة قريبًا من زمزم. فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتًا – وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها – قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت. فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له. فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]»

هذا آخر حديث ابن عباس.

[ولاية البيت ومكة لإسماعيل ثم لذريته من بعده]

فصارت ولاية البيت ومكة لإسماعيل. ثم لذريته من بعده، وانتشرت

ذريته في الحجاز وكثروا. وكانوا على الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل قرونا كثيرة. ولم يزالوا على ذلك حتى كان في آخر الدنيا: نشأ فيهم عمرو بن لُحَي. فابتدع الشرك، وغَيّر دين إبراهيم. وتأتي قصته إن شاء الله.

وأما إسحاق عليه السلام: فإنه بالشام. وذريته: هم بنو إسرائيل والروم. أما بنو إسرائيل: فأبوهم يعقوب عليه السلام ابن إسحاق، ويعقوب هو إسرائيل.

وأما الروم: فأبوهم عيص بن إسحاق.

ومما أكرم الله به إبراهيم عليه السلام: أن الله لم يبعث بعده نبيًا إلا من ذريته، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت: 27]. وكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق. وأما إسماعيل: فلم يبعث من ذريته إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بعثه الله إلى العالمين كافة، وكان مَنْ قبله من الأنبياء: كل نبي يبعث إلى قومه خاصة. وفضله الله على جميع الأنبياء بأشياء غير ذلك.

[قصة عمرو بن لحي وتغييره دين إبراهيم]

وأما قصة عمرو بن لُحَيٍّ، وتغييره دين إبراهيم: فإنه نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة، والحرص على أمور الدين. فأحبه الناس حبًا عظيمًا. ودانوا له لأجل ذلك. حتى مَلّكوه عليهم. وصار ملك مكة وولاية البيت بيده. وظنوا أنه من أكابر العلماء، وأفاضل الأولياء. ثم إنه سافر إلى الشام. فرآهم يعبدون الأوثان. فاستحسن ذلك وظنه حقًا. لأن الشام محل الرسل والكتب. فلهم الفضيلة بذلك على أهل الحجاز وغيرهم. فرجع إلى مكة، وقدم معه بهُبَل. وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله. فأجابوه. وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة. لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم. فتبعهم أهل الحجاز على ذلك ظنا أنه الحق. فلم يزالوا على ذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين إبراهيم عليه السلام وإبطال ما أحدثه عمرو بن لحي.

وكانت الجاهلية على ذلك، وفيهم بقايا من دين إبراهيم لم يتركوه كله. وأيضًا يظنون أن ما هم عليه، وأن ما أحدثه عمرو: بدعة حسنة. لا تغير دين إبراهيم. وكانت تلبية نزار: لبيك. لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، فأنزل الله: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 28].

[أقدم أصنام الجاهلية مناة واللات والعزى]

ومن أقدم أصنامهم " مناة " وكان منصوبًا على ساحل البحر بقُدَيد. تعظمه العرب كلها، لكن الأوس والخزرج كانوا أشد تعظيما له من غيرهم. وبسبب ذلك أنزل الله {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158].

ثم اتخذوا " اللات " في الطائف، وقيل: إن أصله رجل صالح كان يَلُتُّ السّويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره.

ثم اتخذوا " العُزَّى " بوادي نخلة بين مكة والطائف.

فهذه الثلاث أكبر أوثانهم.

ثم كثر الشرك. وكثرت الأوثان في كل بقعة من الحجاز.

وكان لهم أيضا بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة. وكانوا كما قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164].

ولما دعاهم رسول الله إلى الله اشتد إنكار الناس له، علمائهم وعبادهم، وملوكهم وعامتهم، حتى إنه لما دعا رجلًا إلى الإسلام قال له: " من معك على هذا؟ قال: حر وعبد" ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما.

وأعظم الفائدة لك أيها الطالب، وأكبر العلم وأجل المحصول – إن فهمت ما صح عنه صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبا كما بدأ».

وقوله: «لتتبعن سنَن من كان قبلكم حَذْو القُذّة بالقُذّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضبّ لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

وقوله: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة «

فهذه المسألة أجل المسائل. فمن فهمها فهو الفقيه. ومن عمل بها فهو المسلم. فنسأل الله الكريم المنان أن يتفضل علينا وعليكم بفهمها والعمل بها.

[انتقال ولاية البيت إلى جرهم]

أما البيت المحرم: فإن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما بنياه، صارت ولايته في إسماعيل وذريته. ثم غلبهم عليه أخوالهم من جُرْهُم. ولم ينازعهم بنو إسماعيل، لقرابتهم وإعظامهم للحرمة، أن لا يكون بها قتال. ثم إن جرهم بغوا في مكة. وظلموا من دخلها، فَرَق أمرهم. فلما رأى ذلك بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة، وغبشان من خزاعة، أجمعوا على جرهم فاقتتلوا، فغلبهم بنو بكر وغبشان ونفوهم من مكة.

وكانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم، ولا يبغي فيها أحد إلا أُخرج، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك.

[انتقال ولاية البيت إلى غبشان من خزاعة]

ثم إن غبشان – من خزاعة – وليت البيت دون بني بكر. وقريش إذ ذاك حلول وصرم، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة. فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك. حتى كان آخرهم حليل بن حبيشة. فتزوج قُصَي بن كلاب ابنته.

فلما عظم شرف قصي، وكثر بنوه وماله: هلك حليل، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأَمْرِ مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشًا رءوس آل إسماعيل وصريحهم، فكلم رجالا من قريش وكنانة في إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه.

وكان الغوث بن مرة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده. لأن أمه كانت جرهمية لا تلد. فنذرت لله إن ولدت رجلا: أن تتصدق به على الكعبة يخدمها. فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة مع أخواله من جرهم. فولي الإجازة بالناس؛ لمكانه من الكعبة، فكان إذا رفع يقول:

اللهم إني تابع تباعة ... إن كان إثمًا فعلى قضاعة

وكانت " صوفة " تدفع بالناس من عرفة، وتجيزهم إذا نفروا من منًى. فإذا كان يومُ النّفْر أتوا رمي الجمار ورجل من صوفة يرمي لهم، لا يرمون حتى يرمي لهم. فكان المتعجلون يأتونه يقولون: ارم حتى نرمي. فيقول: لا والله حتى تميل الشمس. فإذا مالت الشمس رمى ورمى الناس معه. فإذا فرغوا من الرمي وأرادوا النفر من مِنًى أخذت صوفة بالجانبين. فلم يجز أحد حتى يمروا، ثم يخلون سبيل الناس.

فلما انقرضوا ورثهم بنو سعد بن زيد مناة من بني تميم.

وكانت الإفاضة من مزدلفة في " عدوان " يتوارثونها. حتى كان آخرهم كَرْبُ بن صفوان بن جناب: الذي قام عليه الإسلام. فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة ما كانت تفعل، قد عرفت العرب ذلك لهم. هو دين لهم من عهد جرهم وولاية خزاعة.

[ولاية قصي وجمعه لقومه]

فأتاهم قصي بمن معه من قريش وقضاعة وكنانة عند العقبة، فقال: نحن أولى بهذا منكم. فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدًا. ثم انهزمت صوفة. وغلبهم قصيّ على ما كان بأيديهم. وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي، وعرفوا أنه سيمنعهم، كما منع صوفة. ويحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة.

فلما انحازوا بادَأهم وأجمع لحربهم. فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا. ثم تداعوا إلى الصلح، فحكّموا يَعْمُر بن عوف، أحد بني بكر. فقضى بينهم بأن قصيًا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة. وكل دم أصابه قصي منهم موضوع شَدْخُه تحت قدميه، وما أصابت خزاعة وبنو بكر ففيه الدية، وأن يخلى بين قصيّ وبين الكعبة ومكة. فسمي يومئذ يعمر الشداخ.

فوليها قصي. وجمع قومه من منازلهم إلى مكة. وتملك عليهم وملكوه. لأنه أقر للعرب ما كانوا عليه. لأنه يراه دينا لا يغير فأقر النّسَأَة وآل صفوان وعدوان، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه. حتى جاء الإسلام، فهدم ذلك كله. وفيه يقول الشاعر:

قُصَي لعمري كان يُدْعَى مجمعًا ... به جمع الله القبائل من فِهْرِ

فكان قصي بن لؤي أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية والرفادة، والندوة، واللواء. وقَطّع مكة رباعًا بين قومه. فأنزل كل قوم منهم منازلهم.

وقيل: إنهم هابوا قطع الشجر عن منازلهم. فقطعها بيده وأعوانه، فسمته قريش " مجمعًا" لما جمع من أمرهم، وتيمنت بأمره. فلا تُنكح امرأة منهم ولا يتزوج رجل ولا يتشاورون فيما نزل بهم، ولا يعقدون لواء حرب إلا في داره يعقده لهم بعض ولده.

فكان أمره في حياته – وبعد موته – عندهم كالدين المتبع، واتخذ لنفسه دار الندوة، فلما كبر قصي ورقّ عظمه – وكان عبد الدار بِكْره. وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وعبد العزى وعبد الدار. فقال قصي لعبد الدار: لأُلْحَقَنّك بالقوم وإن شرفوا عليك. لا يدخل أحد منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له. ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت. ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك. ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك. ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا في دارك.

فأعطاه دار الندوة، والحجابة، واللواء، والسقاية والرفادة، وهي خَرْج تخرجه قريش في الموسم من أموالها إلى قصي، فيصنع به طعامًا للحاج، يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد. لأن قصيا فرضه على قريش. فقال لهم: إنكم جيران الله

وأهل بيته. وإن الحاج ضيف الله، وهم أحق الضيف بالكرامة. فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا.

وكان قصي لا يخالف، ولا يرد عليه شيء صنعه.

فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم. ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد عبد الدار، ورأوا أنهم أولى بذلك فتفرقت قريش: بعضهم معهم. وبعضهم مع عبد الدار. فكان صاحب أمر عبد مناف عبد شمس؛ لأنه أسنهم، وصاحب أمر بني منهم ولا يتزوج رجل ولا يتشاورون فيما نزل بهم، ولا يعقدون لواء حرب إلا في داره يعقده لهم بعض ولده.

فكان أمره في حياته – وبعد موته – عندهم كالدين المتبع، واتخذ لنفسه دار الندوة، فلما كبر قصي ورقّ عظمه – وكان عبد الدار بِكْره. وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وعبد العزى وعبد الدار. فقال قصي لعبد الدار: لأُلْحَقَنّك بالقوم وإن شرفوا عليك. لا يدخل أحد منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له. ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت. ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك. ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك. ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا في دارك.

فأعطاه دار الندوة، والحجابة، واللواء، والسقاية والرفادة، وهي خَرْج تخرجه قريش في الموسم من أموالها إلى قصي، فيصنع به طعامًا للحاج، يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد. لأن قصيا فرضه على قريش. فقال لهم: إنكم جيران الله وأهل بيته. وإن الحاج ضيف الله، وهم أحق الضيف بالكرامة. فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا.

وكان قصي لا يخالف، ولا يرد عليه شيء صنعه.

فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم. ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد عبد الدار، ورأوا أنهم أولى بذلك فتفرقت قريش: بعضهم معهم. وبعضهم مع عبد الدار. فكان صاحب أمر عبد مناف عبد شمس؛ لأنه أسنهم، وصاحب أمر بني عبد الدار عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فعقد كل قوم حلفًا مؤكدًا. فأخرج بنو عبد مناف جَفْنة مملوءة طيبًا. فغمسوا أيديهم فيها، ومسحوا بها الكعبة. فسموا " المطيبين " وتعاقد بنو عبد الدار وحلفاؤهم فسموا " الأحلاف " ثم تداعوا إلى الصلح، على أن لعبد مناف السقاية والرفادة، وأن الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فرضوا. وثبت كل قوم مع من حالفوا، حتى جاء الله بالإسلام. فقال صلى الله عليه وسلم: «كل حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة» .

[حلف الفضول]

وأما حلف الفضول: فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها، أو ممن دخلها، إلا قاموا معه، حتى ترد إليه مظلمته، فقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... أن لا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تحالفوا وتعاقدوا ... فالجار والمعتر فيهم سالم

فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف. لأن عبد شمس سَفّار، قلما يقيم بمكة. وكان مُقلا ذا ولد. وكان هاشم موسرًا، وهو أول من سن الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف. وأول من أطعم الثريد بمكة، فقال بعضهم:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف

ولما مات هاشم ولي ذلك المطلب بن عبد مناف. فكان ذا شرف فيهم، يسمونه الفياض لسماحته.

وكان هاشم قدم المدينة. فتزوج سلمى بنت عمرو، من بني النجار، فولدت له عبد المطلب. فلما ترعرع خرج إليه المطلب ليأتي به، فأبت أمه. فقال: إنه يلي مُلك أبيه. فأذنت له. فرحل به. وسلم إليه ملك أبيه. فولي عبد المطلب ما كان أبوه يلي. وأقام لقومه ما أقام آباؤه. وشَرف فيهم شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه. وأحبوه وعظُم خطره فيهم.

.ثم ذكر قصة حفر زمزم، وما فيها من العجائب . . . . . .

ثم ذكر قصة نذر عبد المطلب ذبح ولده، وما جرى فيها من العجائب

ثم ذكر الآيات التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادته، وبعدها. وما جرى له وقت رضاعه وبعد ذلك.

ثم ذكر كفالة أمه له. ثم كفالة جده. ثم كفالة عمه أبي طالب.

ثم ذكر قصة بحيرى الراهب وغيرها من الآيات.

ثم ذكر تزوجه خديجة، وما ذكر لها غلامها مَيْسرة، وما ذكرته هي لورقة، وقول ورقة:

لججتَ وكنت في الذكرى لجوجًا ... لَهِم طالما بعث النّشيجا

إلى آخرها.

ثم ذكر حكمه صلى الله عليه وسلم بين قريش في الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة. وذكر قصة بنائها.

[قصة الحمس]

وذكر أمر الحُمْس – وقال: إن قريشًا ابتدعته رأيًا رأوه. فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرم، وولاة البيت. فليس لأحد من العرب مثل حقنا. فلا تعظموا أشياء من الحل مثلما تعظمون الحرم، لئلا تستخف العرب بحرمتكم. فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، مع معرفتهم أنها من المشاعر ومن دين إبراهيم. ويرون لسائر العرب أن يقفوا بها، ويفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم. فلا ينبغي لنا أن نخرج منه. نحن الحمس و"الحمس" أهل الحرم.

ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من أهل الحرم: مثل ما لهم بولادتهم إياهم. أي يحل لهم ما يحل لهم. ويحرم عليهم ما يحرم عليهم.

وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

ثم ابتدعوا في ذلك أمورًا، فقالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يَقِطوا الأقطَ، ولا أن يَسْلوا السمن وهم حُرم، ولا يدخلوا بيتًا من شَعر، ولا يستظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حُرُما.

ثم قالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجًا أو عمارًا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا – أولَ طوافهم – إلا في ثياب الحمس. فإن لم يجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عراة فإن لم يجد القادم ثيابَ أحمس: طاف في ثيابه وألقاها إذا فرغ. ولم ينتفع بها ولا أحد غيره. فكانت العرب تسميها "اللّقَى" وحملوا على ذلك العرب. فدانت به. أما الرجال: فيطوفون عراة وأما النساء: فتضع المرأة ثيابها كلها إلا درعًا مفرجًا ثم تطوف فيه، فقالت امرأة وهي تطوف.

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أُحِلُّه

فلم يزالوا كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأنزل الله {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [البقرة: 199] وأنزل فيما حرموا {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ} [الأعراف: 26] إلى قوله {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31] إلى قوله {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 32]

[حدوث الرجوم وإنذار الكهان بخروج النبي صلى الله عليه وسلم]

وذكر حدوث الرجوم، وإنذار الكهان به صلى الله عليه وسلم ونزول سورة الجن وقصتهم. ثم ذكر إنذار اليهود، وأنه سبب إسلام الأنصار، وما نزل في ذلك من القرآن. وقصة ابن الهيبان وقوله: " يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ " وقوله: " إنما قدمت هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه. وهذه البلدة مهاجره " إلى آخرها.

ثم ذكر قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

ثم ذكر الأربعة المتفرقين عن الشرك في طلب الدين الحق: وهم ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل.

ثم ذكر وصية عيسى ابن مريم عليه السلام باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وما أخذ الله على الأنبياء من الإيمان به والنصر له، وأن يؤدوه إلى أممهم. فأدوا ذلك. وهو قول الله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} [آل عمران: 81] الآية

[قصة بدء الوحي]

ثم ذكر قصة بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقصة في الصحيحين – وفيها: أن أول ما نزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] إلى قوله {مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5]. ثم أنزل عليه {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – قُمْ فَأَنْذِرْ – وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ – وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ – وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ – وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ – وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر: 1 – 7] فمن فهم أن هذه أول آية أرسله الله بها: عرف أنه سبحانه أمره أن ينذر الناس عن الشرك الذي يعتقدون أنه عبادة الأولياء ليقربوهم إلى الله قبل إنذاره عن نكاح الأمهات والبنات. وعرف أن قوله تعالى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: 3] أمر بالتوحيد قبل الأمر بالصلاة وغيرها. وعرف قدر الشرك عند الله وقدر التوحيد.

فلما أنذر صلى الله عليه وسلم الناس، استجاب له القليل. وأما الأكثر: فلم يتبعوا ولم ينكروا، حتى بادأهم بالتنفير عن دينهم وبيان نقائصه وعيب آلهتهم. فاشتدت عداوتهم له ولمن تبعه. وعذبوهم عذابًا شديدًا، وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم.

فمن فهم هذا عرف أن الإسلام لا يستقيم إلا بالعداوة لمن تركه وعيب دينه، وإلا لو كان لأولئك المعذَّبين رخصة لفعلوا

وجرى بينه وبينهم ما يطول وصفه. وقص الله سبحانه بعضه في كتابه.

[قصة عمه أبي طالب]

ومن أشهر ذلك: قصة عمه أبي طالب لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته. وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة. وصبر عليها، ومع ذلك كان مصدقًا له، مادحا لدينه، محبا لمن اتبعه، معاديًا لمن عاداه، لكن لم يدخل فيه. ولم يتبرأ من دين آبائه، واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه. ولولا ذلك لاتبعه. ولما مات – وأراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغفار له – أنزل الله عليه: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: 113] فيا لها من عبرة ما أبينها! ومن عظة ما أبلغها! ومن بيان ما أوضحه! لما يظن كثير ممن يدعي اتباع الحق فيمن أحب الحق وأهله، من غير اتباع للحق، لأجل غرض من أغراض الدنيا.

[قصته صلى الله عليه وسلم مع قريش لما قرأ سورة النجم]

ومما وقع أيضا: قصته صلى الله عليه وسلم معهم – لما قرأ سورة النجم بحضرتهم – فلما وصل إلى قوله: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى – وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19 – 20] ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. وظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، وتلقاها الصغير والكبير منهم، وقالوا كلاما معناه: هذا الذي نريد، نحن نقر أن الله هو الخالق الرازق، المدبر للأمور، ولكن نريد شفاعتها عنده. فإذا أقر بذلك فليس بيننا وبينه أي خلاف.

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه. وشاع الخبر: أنهم صافوه، حتى إن الخبر وصل إلى الصحابة الذين بالحبشة، فركبوا بالبحر راجعين لظنهم أن ذلك صِدْق. فلما ذُكِر ذلك لرسول

الله صلى الله عليه وسلم: خاف أن يكون قاله. فخاف من الله خوفا عظيما، حتى أنزل الله عليه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: 52] إلى قوله {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: 55]

فمن عرف هذه القصة وعرف ما عليه المشركون اليوم وما قاله ويقوله علماؤهم، ولم يميز بين الإسلام الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وبين دين قريش الذي أرسل الله رسوله ينذرهم عنه، وهو الشرك الأكبر: فأبعده الله. فإن هذه القصة في غاية الوضوح، إلا من طبع الله على قلبه وسمعه. وجعل على بصره غشاوة، فذلك لا حيلة فيه، ولو كان من أفهم الناس، كما قال الله تعالى في أهل الفهم الذين لم يوفقوا: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأحقاف: 26]

[إسلام الأنصار]

ثم لما أراد الله إظهار دينه وإعزاز المسلمين: أسلم الأنصار – أهل المدينة – بسبب العلماء الذين عندهم من اليهود، وذِكْرِهم لهم النبي وصفته، وأن هذا زمانه وقدر الله سبحانه أن أولئك العلماء الذين يتمنون ظهوره وينتظرونه ويتوعدونهم به – لمعرفتهم أن العز لمن اتبعه – يكفرون به ويعادونه. فهو قول الله سبحانه {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: 89]

فلما أسلم الأنصار: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة. فهاجروا إليها. وأعزهم الله تعالى بعد تلك الذلة. فهو قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} [الأنفال: 26] (1) الآية.

[بعض فوائد الهجرة]

وفوائد الهجرة والمسائل التي فيها كثيرة، لكن نذكر منها مسألة واحدة. وهي:

أن ناسا من المسلمين لم يهاجروا، كراهة مفارقة الأهل والوطن والأقارب، فهو قول الله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

فلما خرجت قريش إلى بدر: خرجوا معهم كرها. فقتل بعضهم بالرمي، فلما علم الصحابة: أن فلانا قتل، وفلانا قتل، تأسفوا على ذلك وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل الله تعالى فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} [النساء: 97] إلى قوله: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 100].

فليتأمل الناصح لنفسه هذه القصة، وما أنزل الله فيها من الآيات. فإن أولئك لو تكلموا بكلام الكفر، وفعلوا كفرًا ظاهرًا يُرضون به قومهم: لم يتأسف الصحابة على قتلهم. لأن الله بين لهم – وهم بمكة – لما عذبوا قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: 106].

فلو سمعوا عنهم كلاما أو فعلا يرضون به المشركين من غير إكراه، ما كانوا يقولون: " قتلنا إخواننا."

ويوضحه قوله تعالى: {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} [النساء: 97] ولم يقولوا: كيف عقيدتكم؟ أو كيف فعلكم؟ بل قالوا: في أي الفريقين كنتم؟ فاعتذروا بقولهم: {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} [النساء: 97] فلم تكذبهم الملائكة في قولهم هذا، بل قالوا لهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} [النساء: 97] ويوضحه قوله {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا – فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: 98 – 99].

فهذا في غاية الوضوح. فإذا كان هذا في السابقين الأولين من الصحابة فكيف بغيرهم؟

ولا يفهم هذا إلا من فهم أن أهل الدين اليوم لا يعدونه ذنبا.

فإذا فهمت ما أنزل الله فهما جيدا. وفهمت ما عند من يدعي الدين اليوم، تبين لك أمور:

منها: أن الإنسان لا يستغني عن طلب العلم. فإن هذه وأمثالها: لا تعرف إلا بالتنبيه. فإذا كانت قد أشكلت على الصحابة قبل نزول الآية، فكيف بغيرهم؟

ومنها: أنك تعرف أن الإيمان ليس كما يظنه غالب الناس اليوم، بل كما قال الحسن البصري – فيما روى عنه البخاري: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

نسأل الله أن يرزقنا علما نافعا، ويعيذنا من علم لا ينفع.

قال عمر بن عبد العزيز: يا بني ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن تعقل عن الله، ثم تطيعه.

[مشروعية الجهاد في المدينة]

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة، واجتمع المهاجرون والأنصار: شرع الله لهم الجهاد. وقبل ذلك نهوا عنه، وقيل لهم: {كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} [النساء: 77] فأنزل الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216] (1) فبذلوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى، رضي الله عنهم، فشكر الله لهم ذلك، ونصرهم على من عاداهم، مع قلتهم وضعفهم، وكثرة عدوهم وقوتهم.

فمن الوقائع المشهورة، التي أنزل الله فيها القرآن: وقعة بدر، قد أنزل الله فيها سورة الأنفال، وبعدها وقعة قَينُقَاع، ثم وقعة أُحد بعد سنة، وفيها الآيات التي في آل عمران وبعدها وقعة بني النضير، وفيها الآيات التي في سورة الحشر، ثم وقعة الخندق، وبني قريظة، وفيها الآيات التي في سورة الأحزاب ثم وقعة الحديبية، وفتح خيبر. وأنزل الله فيها سورة الفتح. وفتح مكة. ووقعة حنين وأنزل الله فيها سورة النصر. وذكر حنين في سورة براءة. ثم غزوة تبوك وذكرها الله في سورة براءة.

ولما دانت له العرب، ودخلوا في دين الله أفواجا، وابتدأ في قتال العجم: اختار الله له ما عنده. فتُوُفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد ما أقام بالمدينة عشر سنين. وقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فوقعت الردة المشهورة.

وذلك: أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارتد غالب من أسلم، وحصلت فتنة عظيمة، ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات، بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فإنه قام فيها قياما لم يدانِه فيها أحد من الصحابة، ذكّرهُمْ فيه ما نسوا. وعلمهم ما جهلوا. وشجعهم لما جبنوا. فثبت الله به دين الإسلام. جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمله أصحابه.

قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المائدة: 54] الآية قال الحسن: هم والله أبو بكر وأصحابه.

[قتال أهل الردة]

قتال أهل الردة وصورة الردة: أن العرب افترقت في ردتها. فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام. وقالوا: لو كان نبيا لما مات. وفرقة قالت: نؤمن بالله ولا نصلي. وطائفة أقروا بالإسلام وصلوا. ولكن منعوا الزكاة. وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله! وأن محمدا رسول الله. ولكن صدقوا مسيلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه معه في النبوة.

وذلك: أنه أقام شهودا شهدوا معه بذلك. وفيهم رجل من أصحابه معروف بالعلم والعبادة، يقال له: الرَّجال، فصدقوه لأجل ما عرفوا فيه من العلم والعبادة. ففيه يقول بعضهم ممن ثبت منهم:

يا سعاد الفؤاد بنت أثال ... طال ليلي بفتنة الرجال

فتن القوم بالشهادة والل ... ه عزيز ذو قوة ومحال

وقوم من أهل اليمن، صدقوا الأسود العنسي في ادعائه النبوة.

وقوم صدقوا طُليحة الأسدي.

ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا، ووجوب قتالهم، إلا مانع الزكاة ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على قتالهم قيل له: كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها» . قال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه.

ثم زالت الشبهة عن الصحابة رضي الله عنهم، وعرفوا وجوب قتالهم، فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم. فقتلوا من قتلوا منهم، وسبوا نساءهم وعيالهم.

[أهم ما على المسلم معرفة التوحيد من الشرك]

فمن أهمِّ ما على المسلم اليوم تأمل هذه القصة التي جعلها الله من حججه على خلقه إلى يوم القيامة. فمن تأمل هذا تأملا جيدا – خصوصًا إذا عرف أن الله شهرها على ألسنة العامة، وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر في ذلك، وجعلوا من أكبر فضائله وعلمه: أنه لم يتوقف في قتالهم بل قاتلهم من أول وهلة. وعرفوا غزارة فهمه في استدلاله عليهم بالدليل الذي أشكل عليهم. فرد عليهم. بدليلهم بعينه، مع أن المسألة موضحة في القرآن والسنة.

أما القرآن: فقوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: 5].

وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك: عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى. «

فهذا كتاب الله الصريح للعامي البليد. وهذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا إجماع العلماء الذين ذكرتُ لك.

[من قال لا إله إلا الله وفعل ما يناقضها]

والذي يعرفك هذا جيدا: هو معرفة ضده، وهو أن العلماء في زماننا يقولون: من قال: " لا إله إلا الله " فهو المسلم، حرام المال والدم لا يُكَفّر ولا يقاتل، حتى إنهم يصرحون بذلك في شأن البدو الذين يكذبون بالبعث. وينكرون الشرائع. ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات، بل من حيث الجملة: إنهم يكفرون بالقرآن من أوله إلى آخره. ويكفرون بدين الرسول كله، مع إقرارهم بذلك بألسنتهم، وإقرارهم: أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم كفرًا بشرع الله.

وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله. ويقولون ما فيهم من الإسلام شعرة. وهذا القول تلقته العامة عن علمائهم، وأنكروا به ما بينه الله ورسوله. بل كَفّروا من صدق الله ورسوله في هذه المسألة، وقالوا: من كَفّر مسلما فقد كفر. والمسلم عندهم: الذي ليس معه من الإسلام شعرة، إلا أنه يقول بلسانه: " لا إله إلا الله " وهو أبعد الناس عن فهمها وتحقيق مطلوبها علما وعقيدة وعملا.

فاعلم – رحمك الله – أن هذه المسألة: أهم الأشياء كلها عليك. لأنها هي الكفر والإسلام. فإن صدقتهم فقد كفرت بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا لك من القرآن الكريم والسنة والإجماع. وإن صدقت الله ورسوله عادوك وكفروك.

وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول في هذه المسألة: قد اشتهر في الأرض مشرقها ومغربها. ولم يسلم منه إلا أقل القليل.

فإن رجوت الجنة، وخفت من النار: فاطلب هذه المسألة وادرسها من الكتاب والسنة، وحررها، ولا تقصر في طلبها، لأجل شدة الحاجة إليها، ولأنها الإسلام والكفر. وقل: اللهم ألهمني رشدي، وفهمني عنك، وعلمني منك، وأعذني من مضلات الفتن ما أحييتني.

وأكثر الدعاء بالدعاء الذي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو به في الصلاة. وهو «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك. إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.«

ونزيد المسألة إيضاحا ودلائل لشدة الحاجة إليها، فنقول:

ليفطن العاقل لقصة واحدة منها. وهي أن بني حنيفة أشهر أهل الردة، وهم الذين يعرفهم العامة من أهل الردة. وهم عند الناس أقبح أهل الردة. وأعظمهم كفرا. وهم – مع هذا – يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون، ومع هذا فإن أكثرهم يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك، لأجل الشهود الذين شهدوا مع الرَّجال.

والذي يعرف هذا – ولا يشك فيه – يقول: من قال " لا إله إلا الله " فهو المسلم، ولو لم يكن معه من الإسلام شعرة، بل قد تركه واستهزأ به متعمدًا. فسبحان الله مقلب القلوب كيف يشاء!! كيف يجتمع في قلب من له عقل – ولو كان من أجهل الناس – أنه يعرف أن بني حنيفة كفروا، مع أن حالهم ما ذكرنا. وأن البدو إسلام. ولو تركوا الإسلام كله، وأنكروه، واستهزءوا به على عمد. لأنهم يقولون: " لا إله إلا الله " لكن أشهد أن الله على كل شيء قدير. نسأله أن يثبت قلوبنا على دينه، ولا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة. إنه هو الوهاب.

الدليل الثاني

قصة أخرى وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهي أن بقايا من بني حنيفة، لما رجعوا إلى الإسلام وتبرءوا من مسيلمة، وأقروا بكذبه: كبر ذنبهم عند أنفسهم، وتحملوا بأهليهم إلى الثغر لأجل الجهاد في سبيل الله لعل ذلك يمحو عنهم آثار تلك الردة لأن الله تعالى يقول: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان: 70] (1) ويقول: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82] (2) فنزلوا الكوفة. وصار لهم بها محلة معروفة، فيها مسجد يسمى مسجد بني حنيفة، فمر بعض المسلمين على مسجدهم بين المغرب والعشاء. فسمعوا منهم كلاما معناه: أن مسيلمة كان على حق وهم جماعة كثيرون، لكن الذي لم يقله لم ينكره على مَن قاله. فرفعوا أمرهم إلى عبد الله بن مسعود، فجمع مَن عنده من الصحابة واستشارهم: هل يقتلهم وإن تابوا، أو يستتيبهم؟ فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة. وأشار بعضهم باستتابتهم، فاستتاب بعضهم، وقتل بعضهم، ولم يستتبه.

فتأمل – رحمك الله – إذا كانوا قد أظهروا من الأعمال الصالحة الشاقة ما أظهروا، لما تبرءوا من الكفر، وعادوا إلى الإسلام. ولم يظهر منهم إلا كلمة أخفوها في مدح مسيلمة، لكن سمعها بعض المسلمين. ومع هذا لم يتوقف أحد في كفرهم كلهم – المتكلم والحاضر الذي لم ينكر – ولكن اختلفوا: هل تقبل توبتهم أو لا؟ والقصة في صحيح البخاري.

فأين هذا من كلام مَن يزعم أنه من العلماء ويقول: البدو ما معهم من الإسلام شعرة، إلا أنهم يقولون: " لا إله إلا الله " ومع ذلك يحكم بإسلامهم بذلك؟ أين هذا مما أجمع عليه الصحابة: فيمن قال تلك الكلمة، أو حضرها ولم ينكر؟

سارت مشرقة وسرت مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب

ربنا إني أعوذ بك أن أكون ممن قلت فيهم: {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ – صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة: 17 – 18] (1) ولا ممن قلت فيهم: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [الأنفال: 22]

الدليل الثالث

ما وقع في زمان الخلفاء الراشدين قصة أصحاب علي بن أبي طالب – لما اعتقدوا فيه الإلهية التي تُعْتقَد اليوم في أناس من أكفر بني آدم وأفسقهم – فدعاهم إلى التوبة فأبوا. فخدَّ لهم الأخاديد وملأها حطبًا. وأضرم فيها النار. وقذفهم فيها وهم أحياء.

ومعلوم أن الكافر – مثل اليهودي والنصراني – إذا أمر الله بقتله لا يجوز إحراقه بالنار فعلم أنهم أغلظ كفرًا من اليهود والنصارى.

هذا، وهم يقومون الليل ويصومون النهار ويقرءون القرآن، آخذين له عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما غلوا في علي ذلك الغلو: أحرقهم في النار وهم أحياء. وأجمع الصحابة وأهل العلم كلهم على كفرهم. فأين هذا ممن يقول في البدو تلك المقالة، مع اعترافه بهذه القصة وأمثالها، واعترافه: أن البدو كفروا بالإسلام كله، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله!

واعلم أن جناية هؤلاء إنما هي على الألوهية، وما علمنا فيهم جناية على النبوة، والذين قبلهم جنايتهم على النبوة، ما علمنا لهم جناية على الإلهية. وهذا مما يبين لك شيئا من معنى الشهادتين اللتين هما أصل الإسلام.

الدليل الرابع

ما وقع في زمن الصحابة أيضا وهي قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي. وهو رجل من التابعين، مصاهر لعبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه، مظهر للصلاح. فظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته، فقتل ابن زياد، ومال إليه من مال لطلبه دم أهل البيت ممن ظلمهم ابن زياد. فاستولى على العراق، وأظهر شرائع الإسلام، ونصب القضاة والأئمة من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة، لكن في آخر أمره زعم أنه يوحى

إليه. فسّير إليه عبد الله بن الزبير جيشا، فهزموا جيشه وقتلوه، وأمير الجيش مصعب بن الزبير، وتحته امرأة أبوها أحد الصحابة، فدعاها مصعب إلى تكفيره فأبت. فكتب إلى أخيه عبد الله يستفتيه فيها، فكتب إليه: إن لم تبرأ منه فاقتلها. فامتنعت، فقتلها مصعب.

وأجمع العلماء كلهم على كفر المختار – مع إقامته شعائر الإسلام – لما جنى على النبوة.

وإذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفيره، فكيف بمن لم يكفر البدو مع إقراره بحالهم؟ فكيف بمن زعم أنهم هم أهل الإسلام، ومن دعاهم إلى الإسلام هو الكافر؟ يا ربنا نسألك العفو والعافية.

الدليل الخامس

ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة الجعد بن درهم، وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة. فلما جحد شيئا من صفات الله – مع كونها مقالة خفية عند الأكثر – ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى، فقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما. ثم نزل فذبحه، ولم يعلم أن أحدا من العلماء أنكر ذلك عليه. بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه، فقال:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

فإذا كان رجل من أشهر الناس بالعلم والعبادة، أخذ العلم عن الصحابة، أجمعوا على استحسان قتله، فأين هذا من اعتقاد أعداء الله في البدو؟

الدليل السادس

قصة بني عبيد القداح فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة. فادعى عبيد الله أنه من آل علي بن أبي طالب من ذرية فاطمة، وتزيا بزي أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله. فتبعه أقوام من البربر من أهل المغرب. وصار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده. ثم ملكوا مصر والشام، وأظهروا شرائع الإسلام وإقامة الجمعة والجماعة. ونصبوا القضاة والمفتين. لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم. فأجمع أهل العلم: أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب، مع إظهارهم شعائر الإسلام.

وفي مصر من العلماء والعباد أناس كثير، وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوا من الكفر. ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرناه، حتى إن بعض أكابر أهل العلم المعروفين بالصلاح قال لو أن معي عشرة أسهم لرميت بواحد منها النصارى المحاربين. ورميت بالتسعة بني عبيد.

ولما كان زمان السلطان محمود بن زَنْكي أرسل إليهم جيشا عظيما بقيادة صلاح الدين. فأخذوا مصر من أيديهم. ولم يتركوا جهادهم بمصر لأجل من فيها من الصالحين.

فلما فتحها السلطان محمود فرح المسلمون بذلك أشد الفرح. وصنف ابن الجوزي في ذلك كتابا سماه " النصر على مصر ". وأكثر علماء التصنيف والكلام في كفرهم مع ما ذكرنا من إظهارهم شرائع الإسلام الظاهرة.

فانظر ما بين هذا وبين ديننا الأول أن البدو إسلام، مع معرفتنا بما هم عليه من البراءة من الإسلام كله، إلا قول " لا إله إلا الله " ولا تظن أن أحدا منهم لا يكفر إلا إن انتقل يهوديا أو نصرانيا.

فإن آمنت بما ذكر الله ورسوله، وبما أجمع عليه العلماء، وتبرأت من دين آبائك في هذه المسألة، وقلت: آمنت بالله وبما أنزل الله، وتبرأت مما خالفه باطنا وظاهرا، مخلصا لله الدين في ذلك. وعلم الله ذلك من قلبك، فأبشر. ولكن اسأل الله التثبيت. واعرف أنه مقلب القلوب.

الدليل السابع

قصة التتار وذلك أنهم بعد ما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا، وسكنوا بلاد المسلمين، وعرفوا دين الإسلام: استحسنوه وأسلموا. لكن لم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه. وأظهروا أشياء من الخروج عن الشريعة، لكنهم كانوا يتلفظون بالشهادتين، ويصلون الصلوات الخمس والجمعة والجماعة. وليسوا كالبدو، ومع هذا كفرهم العلماء، وقاتلوهم وغزوهم. حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين.

وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله.

وأما من أراد الله فتنته: فلو تناطحت الجبال بين يديه لم ينفعه ذلك.

ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة، من قتل من أتى بأمور يكفر بها – ولو كان يظهر شعائر الإسلام – وقامت عليه البينة باستحقاقه للقتل، مع أن في هؤلاء المقتولين من كان من أعلم الناس وأزهدهم وأعبدهم في الظاهر، مثل الحلاج وأمثاله، ومن هو من الفقهاء المصنفين، كالفقيه عمارة.

فلو ذكرنا قصص هؤلاء لاحتمل مجلدات. ولا نعرف فيهم رجلا واحدا بلغ كفره كفر البدو الذين يقول عنهم – من يزعم إسلامهم –: إنه ليس معهم من الإسلام شعرة إلا قول: " لا إله إلا الله " ولكن من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

والعجب أن الكتب التي بأيديهم، والتي يزعمون أنهم يعرفونها ويعملون بها: فيها مسائل الردة.

وتمام العجب: أنهم يعرفون بعض ذلك ويقرون به، ويقولون: من أنكر البعث كفر. ومن شك فيه كفر. ومن سب الشرع كفر. ومن أنكر فرعا مجمعًا عليه كفر. كل هذا يقولونه بألسنتهم.

فإذا كان من أنكر الأكل باليمين، أو أنكر النهي عن إسبال الثياب، أو أنكر سنة الفجر أو الوتر: فهو كافر. ويصرحون أن من أنكر الإسلام كله وكَذّب به، واستهزأ بمن صدقه: فهو أخوك المسلم، حرام الدم والمال، ما دام يقول: " لا إله إلا الله " ثم يكفروننا، ويستحلون دماءنا وأموالنا، مع أنا نقول: " لا إله إلا الله " فإذا سئلوا عن ذلك قالوا: من كفر مسلما فقد كفر.

تم لم يكفهم ذلك حتى أفتوا لمن عاهدنا بعهد الله ورسوله أن ينقض العهد وله في ذلك ثواب عظيم، ويفتون مَنْ عنده أمانة لنا، أو مال يتيم: أنه يجوز له أكل أمانتنا. ولو كانت مال يتيم، بضاعة عنده أو وديعة، بل يرسلون الرسائل لِدَهام بن دَوَّاس وأمثاله: إذا حاربوا التوحيد ونصروا عبادة الأصنام، يقولون: أنت يا فلان قمت مقام الأنبياء. مع إقرارهم أن التوحيد – الذي ندعو إليه، وكفروا به وصدوا الناس عنه – هو دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن الشرك – الذي نهينا الناس عنه، ورغبوهم فيه، وأمروهم بالصبر على آلهتهم – أنه الشرك الذي نهى عنه الأنبياء. ولكن هذه من أكبر آيات الله، فمن لم يفهمها فليبك على نفسه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[نسب النبي صلى الله عليه وسلم]

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا معلوم الصحة. وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل. وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب. والقول بأنه إسحاق باطل.

ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل. وكانت وقعة الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأهل الفيل نصارى أهل كتاب، دينهم خير من دين أهل مكة. لأنهم عباد أوثان. فنصرهم الله نصرا لا صنع للبشر فيه، تقدمة للنبي الذي أخرجته قريش من مكة، وتعظيما للبلد الحرام.

[قصة الفيل]

قصة الفيل وكان سبب قصة أصحاب الفيل – على ما ذكر محمد بن إسحاق – أن أبرهة بن الصباح كان عاملا للنجاشي ملك الحبشة على اليمن، فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة – شرفها الله – فبنى كنيسة بصنعاء. وكتب إلى النجاشي " إني بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها، ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب " فسمع به رجل من بني كنانة، فدخلها ليلا. فلطخ قبلتها بالعذرة. فقال أبرهة: من الذي اجترأ على هذا؟ قيل: رجل من أهل ذلك البيت، سمع بالذي قلت. فحلف أبرهة ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها. وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، فسأله أن يبعث إليه بفيله. وكان له فيل يقال له: محمود، لم يُرَ مثله عظما وجسما وقوة، فبعث به إليه. فخرج أبرهة سائرا إلى مكة. فسمعت العرب بذلك فأعظموه، ورأوا جهاده حقا عليهم.

فخرج ملك من ملوك اليمن، يقال له: ذو نفر. فقاتله. فهزمه أبرهة وأخذه أسيرا، فقال: أيها الملك استبقني خيرا لك، فاستبقاه وأوثقه.

وكان أبرهة رجلا حليما. فسار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي، ومن اجتمع إليه من قبائل العرب. فقاتلوهم فهزمهم أبرهة. فأخذ نفيلا، فقال له: أيها الملك إنني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة. فاستبقني خيرا لك. فاستبقاه. وخرج معه يدله على الطريق.

فلما مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف. فقال له: أيها الملك، نحن عبيدك. ونحن نبعث معك من يدلك. فبعثوا معه بأبي رِغال مولى لهم. فخرج حتى إذا كان بالمغَمّس مات أبو رغال، وهو الذي يرجم

قبره. وبعث أبرهة رجلا من الحبشة – يقال له: الأسود بن مفصود – على مقدمة خيله وأمر بالغارة على نَعَم الناس. فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم بعث رجلا من حمير إلى أهل مكة، فقال: أبلغ شريفها أنني لم آت لقتال، بل جئت لأهدم البيت. فانطلق، فقال لعبد المطلب ذلك.

فقال عبد المطلب: ما لنا به يدان. سنخلي بينه وبين ما جاء له. فإن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه. وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به من قوة.

قال: فانطلق معي إلى الملك – وكان ذو نَفَر صديقا لعبد المطلب، فأتاه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشيا، ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل، فإنه لي صديق، فأسأله أن يعظم خطرك عند الملك.

فأرسل إليه، فقال لأبرهة: إن هذا سيد قريش يستأذن عليك. وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف لأمرك، وأنا أحب أن تأذن له.

وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما. فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه. وكره أن يجلس معه على سريره. وأن يجلس تحته. فهبط إلى البساط فدعاه فأجلسه معه. فطلب منه أن يرد عليه مائتي البعير التي أصابها من ماله.

فقال أبرهة لترجمانه، قل له: إنك كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك. قال: لِمَ؟ قال: جئت إلى بيت – هو دينك ودين آبائك، وشرفكم وعصمتكم – لأهدمه. فلم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير؟ قال: أنا رب الإبل. والبيت له رب يمنعه منك.

فقال: ما كان ليمنعه مني.

قال: فأنت وذاك. فأمر بإبله فردت عليه.

ثم خرج وأخبر قريشا الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب، ويتحرزوا في رءوس الجبال، خوفا عليهم من مَعَرَّة الجيش.

ففعلوا. وأتى عبدُ المطلب البيتَ. فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهمو حماكا

إن عدو البيت من عاداكا ... فامنعهمو أن يخربوا قراكا

وقال أيضا:

لا هُمَّ إن المرء يمنع رحله ... وحلاله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم غدوا محالك

جرّوا جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك

إن كنت تاركهم وكعب ... تنا فأمْرٌ ما بدا لك

ثم توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه. وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول. وعبأ جيشه. وهيأ فيه. فأقبل نفيل إلى الفيل. فأخذ بأذنه. فقال: ابرك محمود. فإنك في بلد الله الحرام. فبرك الفيل، فبعثوه فأبى. فوجهوه إلى اليمن، فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى المشرق ففعل ذلك. فصرفوه إلى الحرم فبرك. وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، فأرسل الله طيرا من قبل البحر مع كل طائر ثلاثة أحجار. حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره. فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم. فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك. وليس كلَّ القوم أصابت. فخرج البقية هاربين يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن. فماج بعضهم في بعض. يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل. وبعث الله على أبرهة داء في جسده. فجعلت تساقط أنامله حتى انتهى إلى صنعاء وهو مثل الفرخ. وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

[وفاة عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

رجعنا إلى سيرته صلى الله عليه وسلم.

وفاة عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلف في وفاة أبيه: هل توفي بعد ولادته أو قبلها؛ الأكثر: على أنه توفي وهو حمل. ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء، منصرفَها من المدينة من زيارة أخواله. ولم يستكمل إذ ذاك ست سنين.

فكفله جده عبد المطلب. ورق عليه رقة لم يرقها على أولاده. فكان لا يفارقه. وما كان أحد من ولده يجلس على فراشه – إجلالا له – إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقدم مكة قوم من بني مُدْلج من القافة. فلما نظروا إليه قالوا لجده: احتفظ به. فلم نجد قدمًا أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه. فقال لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، واحتفظ به.

وتوفي جده في السنة الثامنة من مولده. وأوصى به إلى أبي طالب. وقيل إنه قال له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بمفرد بعد أبيه فرد

وكنت كالأم له في الوجد ... تُدْنيه من أحشائها والكبد

فأنتَ من أرجى بَنِيَّ عندي ... لرفع ضيم ولشد عضد

[عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب من سادات قريش، محافظا على العهود. متخلقا بمكارم الأخلاق. يحب المساكين، ويقوم في خدمة الحجيج، ويطعم في الأزمات. ويقمع الظالمين. وكان يطعم حتى الوحوش والطير في رءوس الجبال. وكان له أولاد أكبرهم الحارث، توفي في حياة أبيه. وأسلم من أولاد الحارث عُبَيدة – قتل ببدر – وربيعة، وأبو سفيان، وعبد الله.

ومنهم: الزبير بن عبد المطلب شقيق عبد الله. وكان رئيس بني هاشم وبني المطلب في حرب الفجار، شريفا شاعرا. ولم يدرك الإسلام. وأسلم من أولاده: عبد الله، واستشهد بأجنادين، وضُباعة، ومَجْل، وصفية، وعاتكة.

وأسلم منهم حمزة بن عبد المطلب، والعباس.

ومنهم: أبو لهب مات عقيب بدر. وله من الولد: عتيبة الذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله السبع. وله عتبة، ومعتب. أسلما يوم الفتح. ومن بناته: أروى. تزوجها كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فولدت له عامرًا وأروى. فتزوج أروى عفان بن أبي العاص بن أمية. فولدت له عثمان، ثم خلف عليها عقبة بن أبي مُعَيْط، فولدت له الوليد بن عقبة، وعاشت إلى خلافة ابنها عثمان.

ومنهن: بَرَّة بنت عبد المطلب، أم أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

ومنهن: عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية. وهي صاحبة المنام قبل يوم بدر. واختلف في إسلامها.

ومنهن: صفية أم الزبير بن العوام. أسلمت وهاجرت.

وأروى أم آل جحش: عبد الله، وأبي أحمد، وعبيد الله، وزينب، وحَمْنة.

وأم عبد المطلب: هي سلمى بنت زيد من بني النجار، تزوجها أبوه هاشم بن عبد مناف. فخرج إلى الشام – وهي عند أهلها، وقد حملت بعبد المطلب – فمات بغزة. فرجع أبو رُهْم بن عبد العزى وأصحابه إلى المدينة بتركته. وولدت امرأته سلمى: عبد المطلب. وسمته شيبة الحمد. فأقام في أخواله مكرمًا. فبينما هو يناضل الصبيان، فيقول: أنا ابن هاشم، سمعه رجل من قريش، فقال لعمه المطلب: إني مررت بدور بني قَيْلة. فرأيت غلامًا يعتزي إلى أخيك. وما ينبغي ترك مثله في الغربة. فرحل إلى المدينة في طلبه. فلما رآه فاضت عيناه، وضمه إليه. وأنشد شعرًا:

عرفت شيبة والنجار قد جعلت ... أبناءها حوله بالنبل تنتضل

عرفت إجلاده فينا وشيمته ... ففاض مني عليه وابل هطل

فأردفه على راحلته، فقال: يا عم، ذلك إلى الوالدة. فجاء إلى أمه. فسألها أن ترسل به معه، فامتنعت. فقال لها: إنما يمضي إلى ملك أبيه، وإلى حرم الله. فأذنت له. فقدم به مكة، فقال الناس: هذا عبد المطلب. فقال: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم.

فأقام عنده حتى ترعرع. فسلم إليه ملك هاشم: من أمر البيت، والرفادة، والسقاية، وأمر الحجيج، وغير ذلك.

وكان المطلب شريفا مطاعا جوادا، وكانت قريش تسميه الفياض لسخائه. وهو الذي عقد الحلف بين قريش وبين النجاشي. وله من الولد: الحارث، ومخرمة، وعباد، وأنيس، وأبو عمر، وأبو رهم، وغيرهم.

ولما مات وثب نوفل بن عبد مناف على أركاح شيبة. فغصبه إياها، فسأل رجالا من قريش النصرة على عمه. فقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك. فكتب إلى أخواله من بني النجار أبياتًا، منها:

يا طول ليلي لأحزاني وأشغالي ... هل من رسول إلى النجار أخوالي؟

بني عدي ودينار ومازنها ... ومالك عصمة الحيران عن حالي

قد كنت فيهم وما أخشى ظلامة ذي ... ظلم عزيزًا منيعًا ناعم البال

حتى ارتحلت إلى قومي , وأزعجني ... لذاك مُطّلب عمي بترحالي

فغاب مطلب في قعر مظلمة ... ثم انبرى نوفل يعدو على مالي

لما رأى رجلا غابت عمومته ... وغاب أخواله عنه بلا والي

فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكمُ ... لا تخذلوه فما أنتم بخذالي

فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي بن النجار على كتابه بكى. وسار من المدينة في ثمانين راكبًا، حتى قدم مكة. فنزل بالأبطح فتلقاه عبد المطلب وقال: المنزل يا خال. فقال: لا والله حتى ألقى نوفلا. فقال: تركته بالحجر جالسا في مشايخ قومه. فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم. فقام نوفل قائمًا، فقال: يا أبا سعد، أنعم صباحًا. فقال: لا أنعم الله لك صباحًا، وسَلَّ سيفه. وقال: ورب هذا البيت، لَئِن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأمكنن منك هذا السيف. فقال: رددتها عليه. فأشهد عليه مشايخ قريش. ثم نزل على شيبة، فأقام عنده ثلاثًا. ثم اعتمر ورجع إلى المدينة. فقال عبد المطلب:

ويأبى مازن وأبو عدي ... ودينار بن تيم الله ضيمي

بهم رد الإله علي رُكْحي ... وكانوا في انتساب دون قومي

فلما جرى ذلك حالف نوفل بني عبد شمس بن عبد مناف على بني هاشم، وحالفت بنو هاشم: خزاعة على بني عبد شمس ونوفل. فكان ذلك سببًا لفتح مكة. كما سيأتي.

فلما رأت خزاعة نصر بني النجار لعبد المطلب، قالوا: نحن ولدناه كما ولدتموه، فنحن أحق بنصره. وذلك أن أم عبد مناف منهم. فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وكتبوا بينهم كتابا.

[عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله، والد النبي صلى الله عليه وسلم: فهو الذبيح.

وسبب ذلك: أن عبد المطلب أُمر في المنام بحفر زمزم. ووُصِف له موضعها. وكانت جُرْهم قد غلبت آلَ إسماعيل على مكة، وملكوها زمانًا طويلا. ثم أفسدوا في حرم الله. فوقع بينهم وبين خُزاعة حرب، وخزاعة من قبائل اليمن، من أهل سبأ. ولم يدخل بينهم بنو إسماعيل. فغلبتهم خزاعة. ونفت جرهما من مكة. وكانت جرهم قد دفنت الحجر الأسود، والمقام وبئر زمزم. وظهر بعد ذلك قصي بن كلاب على مكة. ورجع إليه ميراث قريش. فأنزل بعضهم داخل مكة – وهم قريش الأباطح – وبعضهم خارجها – وهم قريش الظواهر – فبقيت زمزم مدفونة إلى عصر عبد المطلب. فرأى في المنام موضعها. فقام يحفر. فوجد فيها سيوفا مدفونة وحليا، وغزالا من ذهب مُشَنّفًا بالدر. فعلقه عبد المطلب على الكعبة. وليس مع عبد المطلب إلا ولده الحارث. فنازعته قريش، وقالوا له: أشركنا، فقال: ما أنا بفاعل. هذا أمر خُصصت به. فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أحاكمكم إليه.

فنذر حينئذ عبد المطلب: لئن آتاه الله عشرة أولاد، وبلغوا أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة. فلما تموا عشرة. وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه. وكتب كل منهم اسمه في قدح. وأعطوها القِدَاح قَيّم هُبَل – وكان الذي يُجِيل القداح – فخرج القدح على عبد الله. وأخذ عبد المطلب المدية ليذبحه. فقامت إليه قريش من ناديها فمنعوه. فقال: كيف أصنع بنذري؟ فأشاروا عليه أن ينحر مكانه عشرا من الإبل. فأقرع بين عبد الله وبينها. فوقعت القرعة عليه. فاغتم عبد المطلب، ثم لم يزل يزيد عشرا عشرا، ولا تقع القرعة إلا عليه، إلى أن بلغ مائة، فوقعت القرعة على الإبل. فنحرت عنه. فجرت سنّة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين.«

يعني إسماعيل عليه السلام وأباه عبد الله.

ثم ترك عبد المطلب الإبل لا يرد عنها إنسانا ولا سبعا. فجرت الدية في قريش والعرب مائة من الإبل. . وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت صفية بنت عبد المطلب:

نحن حفرنا للحجيج زمزم ... سُقيا الخليل وابنه المكرم

جبريل الذي لم يذمم ... شفاء سُقْم وطعام مطعم

[أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم]

أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أبو طالب: فهو الذي تولى تربية رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعد جده كما تقدم، ورق عليه رقة شديدة. وكان يقدمه على أولاده.

قال الواقدي: قام أبو طالب – من سنة ثمان من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السنة العاشرة من النبوة أي ثلاثا وأربعين – يحوطه ويقوم بأمره، ويذب عنه. ويلطف به. وقال أبو محمد بن قدامة: كان يقر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم. وله في ذلك أشعار، منها:

ألا أبلغا عني على ذاتِ بيننا ... لُؤَيا. وخُصَّا من لؤي بني كعب

بأنا وجدنا في الكتاب محمدا ... نبيا كموسى , خُطَّ في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة ... ولا خير ممن خصه الله بالحب

ومنها:

تَعَلّم خيارَ الناس أن محمدًا ... وزيرٌ لموسى والمسيح ابن مريم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار. ولما حضرته الوفاة: «دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم – وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية – فقال: "يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله" فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل صلى الله عليه وسلم يرددها عليه، وهما يرددان عليه حتى كان آخر كلمة قالها: "هو على ملة عبد المطلب " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أُنْه عنك فأنزل الله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: 113] ونزل قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: 56] » الآية.

قال ابن إسحاق: وقد رثاه ولده علي بأبيات، منها:

أرِقْتُ لطير آخر الليل غردا ... يذكرني شجوا عظيما مجددا

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... جوادًا إذا ما أصدر الأمر أوردا

فأمست قريش يفرحون بموته

ولست أرى حيا يكون مخلدا ... أرادوا أمورا زيفتها حلومهم

ستوردهم يوما من الغي موردا ... يُرَجُّون تكذيب النبي وقتله

وأن يفترى قدمًا عليه ويجحدا ... كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم

صدور العوالي والحسام المهندا

خلّفَ أبو طالب أربعة ذكور وابنتين. فالذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، وبين كل واحد عشر سنين. فطالب أسنهم، ثم عقيل، ثم جعفر، ثم علي.

فأما طالب: فأخرجه المشركون يوم بدر كرها. فلما انهزم الكفار طُلِبَ، فلم يوجد في القتلى، ولا في الأسرى، ولا رجع إلى مكة، وليس له عقب.

وأما عقيل: فأُسر ذلك اليوم. ولم يكن له مال. ففداه عمه العباس.

ثم رجع إلى مكة. فأقام بها إلى السنة الثامنة. ثم هاجر إلى المدينة. فشهد مُؤتة مع أخيه جعفر. وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل ترك لنا عقيل من منزل؟.«

واستمرت كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم –كما ذكرنا – فلما بلغ اثنتي عشرة سنة – وقيل: تسعًا خرج به أبو طالب إلى الشام في تجارة، فرآه بَحيرى الراهب، وأمر عمه أن لا يقدم به إلى الشام؛ خوفا عليه من اليهود. فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى المدينة.

[خروجه إلى الشام وزواجه خديجة]

خروجه إلى الشام وزواجه خديجة فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وعشرين سنة: خرج إلى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها، ومعه ميسرة غلامها. فوصل بُصْرَى.

ثم رجع فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد. وهي أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسائه. ولم ينكح عليها غيرها. وأمره جبريل: " أن يقرأ عليها السلام من ربها ويبشرها ببيت في الجنة من قصب."

[تحنثه في غار حراء]

تحنثه في غار حراء ثم حبب إليه الخلاء، والتعبد لربه، فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه (1) وبُغِّضت إليه الأوثان ودينُ قومه. فلم يكن شيء أبغضَ إليه من ذلك. وأنبته الله نباتا حسنا، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا. وأحفظهم لأمانة. حتى سماه قومه " الأمين " لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة، والخصال الكريمة المرضية.

[بناء الكعبة]

بناء الكعبة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة: قامت قريش في بناء الكعبة حين تضعضعت. قال أهل السير: كان أمر البيت – بعد إسماعيل عليه السلام – إلى ولده، ثم غلبت جرهم عليه. فلم يزل في أيديهم حتى استحلوا حرمته. وأكلوا ما يهدى إليه. وظلموا من دخل مكة. ثم وَلِيَتْ خزاعة البيتَ بعدهم، إلا أنه كان إلى قبائل من مُضَر ثلاثُ خلال- :

الأولى: الإجازة بالناس من عرفة يوم الحج إلى مزدلفة، تجيزهم صُوفة.

والثانية: الإفاضة من جَمْعٍ، غداة النحر إلى منى. وكان ذلك إلى يزيد بن عدوان، وكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة.

والثالثة: إنساءُ الأشهر الحرم، وكان إلى رجل من بني كنانة يقال له حذيفة ثم صار إلى جُنادة بن عوف.

قال ابن إسحاق: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة، جمعت قريش لبنيان الكعبة. وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها، ويهابون هدمها، وإنما كانت رَضْما فوق القامة. فأرادوا رفعها وتسقيفها. وذلك أن قومًا سرقوا كنز الكعبة. وكان في بئر في جوف الكعبة. وكان البحر قد رمى سفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم، فتحطمت. فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها.

وكان بمكة رجل قبطي نجار. فهيأ لهم بعض ما كان يصلحها. وكانت حَيّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيه ما يهدى لها كل يوم، فتتَشَرَّقُ على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون. وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلّت وكَشّت وفتحت فاها. فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، بعث الله إليها طائرا فاختطفها. فذهب بها. فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب. وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها: قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي فتناول من الكعبة حجرًا. فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبًا، لا يدخل فيها مَهْر بَغِي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة.

فكان شِق الباب: لبني عبد مناف وزهرة. وما بين الركن الأسود واليماني: لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضافت إليهم. وكان ظهر الكعْبة: لبني جُمَح وبني سَهْم. وكان شق الحِجْر: لبني عبد الدار، ولبني أسد بن عبد العزى، ولبني عدي. وهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول. ثم قام عليها. وهو يقول: اللهم لا تُرَعْ – أو: لم نَرِغ – اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين. فتربص الناس تلك الليلة. وقالوا: إن أصيب، لم نهدم منها شيئا. ورددناها كما كانت، وإلا فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله. فهدم وهدم الناس معه.

حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس – أساس إبراهيم عليه السلام —

أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة، أخذ بعضها بعضا. فأدخل بعضهم عَتَلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما. فلما تحرك الحجر: انتفضت مكة بأسرها. فانتهوا عند ذلك الأساس.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الحجَر الأسود. فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جَفنة، مملوءة دمًا. تعاهدوا – هم وبنو عدي بن كعب – على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم. فسموا " لَعقَة الدم" فمكثت قريش على ذلك أربع ليال، أو خمسا.

ثم إنهم اجتمعوا في المسجد. فتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: «أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي – وكان يومئذ أَسَنَّ قريش كلهم – قال: اجعلوا بينكم أولَ من يدخل من باب المسجد. ففعلوا، فكان أولَ من دخل: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأوه، قالوا: هذا الأمين، رضينا به، هذا محمد " فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر. فقال صلى الله عليه وسلم: هلم إلي ثوبًا " فأتي به. فأخذ الركن فوضعه فيه بيده. ثم قال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعا " ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه: وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم. ثم بنى عليه«.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة. وكانوا يرفعون أُزرَهم على عواتقهم، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلُبط به – أي طاح على وجهه – ونودي "استر عورتك" فما رئيت له عورة بعد ذلك.

فلما بلغوا خمسة عشر ذراعا سقفوه على ستة أعمدة.

وكان البيت يُكْسَى القباطي. ثم كُسيَ البرود، وأول من كساه الديباج: الحجاج بن يوسف.

وأخرجت قريش الحِجْر لقلة نفقتهم. ورفعوا بابها عن الأرض، لئلا يدخلها إلا من أرادوا. وكانوا إذا أرادوا ألا يدخلها أحد لا يريدون دخوله تركوه حتى يبلغ الباب، ثم يرمونه.

فلما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة: بعثه الله بشيرًا ونذيرًا. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

[بعض ما كان عليه أهل الجاهلية]

بعض ما كان عليه أهل الجاهلية ونذكر قبل ذلك شيئا من أمور الجاهلية، وما كانت عليه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال قتادة: ذُكر لنا: أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون. كلهم على الهدى، وعلى شريعة من الحق. ثم اختلفوا بعد ذلك. فبعث الله نوحًا عليه السلام. وكان أول رسول إلى أهل الأرض. قال ابن عباس: في قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} [البقرة: 213] (1) قال: على الإسلام كلهم. وكان أول ما كادهم به الشيطان: هو تعظيم الصالحين، وذكر اللهُ ذلك في كتابه في قوله: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23] (2) قال ابن عباس: كان هؤلاء قومًا صالحين. فلما ماتوا في شهر: جزع عليهم أقاربهم، فصوروا صورهم. وفي غير حديثه: "

قال أصحابهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة" قال: فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه، حتى ذهب ذلك القرن. ثم جاء قرن آخر، فعظموهم أشد من الأول. ثم جاء القرن الثالث، فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم.

فلما بعث الله إليهم نوحًا – وغرق من غرق – أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة. فلما نضب الماء بقيت على الشط، فسفت الريح عليها التراب، حتى وارتها.

[عمرو بن لحي أول من غير دين إبراهيم]

عمرو بن لحي أول من غير دين إبراهيم وكان عمرو بن لُحَي سيدُ خزاعة كاهنًا وله رِئي من الجن فأتاه. فقال: " عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائتِ جُدَّة، تجد أصنامًا معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، وادع العرب إلى عبادتها تجب " فأتى جدة فاستثارها، ثم حملها حتى أوردها تهامة.

وحضر الحج، فدعا العرب إلى عبادتها. فأجابه عوف بن عذرة، فدفع إليه وَدًّا فحمله. فكان بوادي القُرَى بدومَةِ الجَنْدل. وسمى ابنه: عبدَ وَد، فهو أول من سمى به. فلم يزل بنوه يسدنونه، حتى جاء الإسلام. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لهدمه. فحالت بينه وبينه بنو عُذْرة وبنو عامر، فقاتلهم فقتلهم. ثم هدمه وجعله جُذاذًا.

وأجابت عمرو بن لحي بن مضَرُ بن نزار. فدفع إلى رجل من هذيل سُواعًا، فكان بأرض يقال لها: وُهاط من بطن نخلة، يعبده من يليه من مضر. وفي ذلك قيل:

تراهم حول قبلتهم عكوفًا ... كما عكفت هذيل على سواع

وأجابته مَذْحج. فدفع إلى نعيم بن عمر المرادي يغوث. وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها.

وأجابته همدان فدفع إليهم يعوق. فكان بقرية يقال لها خِيوان. تعبده همدان ومن والاها من اليمن.

وأجابته حمير، فدفع إليهم نَسْرًا. فكان بموضع بسبأ، تعبده حمير ومن والاها. فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فكسرها.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبه في النار، فكان أول من سيّب السوائب» وفي لفظ: «وغير دين إبراهيم» وفي لفظ عن ابن إسحاق: «فكان أول من غير دين إبراهيم، ونصب الأوثان. «

وكان أهل الجاهلية على ذلك، فيهم بقايا من دين إبراهيم، مثل تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة ومزدلفة، وإهداء البُدْن. وكانت نزار تقول في إهلالها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك " فأنزل الله: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 28].

[صنم مناة]

صنم مناة ومن أقدم أصنامهم: منَاة. وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشَلّل بقديد، بين مكة والمدينة. وكانت العرب تعظمه قاطبة، ولم يكن أحد أشد تعظيمًا له من الأوس والخزرج، وبسبب ذلك أنزل الله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158] (1) الآية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح.

[صنم اللات]

صنم اللات ثم اتخذوا اللات في الطائف، قيل: إن أصل ذلك رجل كان يَلُت السويق للحاج، فمات. فعكفوا على قبره. وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بيتًا. فكان جميع العرب يعظمونها، وكانت العرب تسمي زيد اللات، وتيم اللات. وهي في موضع منارة مسجد الطائف.

فلما أسلمت ثقيف، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها، وحرقها بالنار.

[صنم العزى]

صنم العزى ثم اتخذوا العُزَّى. وهي أحدث من اللات. وكانت بوادي نخلة. فوق ذات عرق. وبثوا عليها بيتًا. وكانوا يسمعون منها الصوت. وكانت قريش تعظمها. فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، بعث خالد بن الوليد فأتاها فعضدها، وكانت ثلاث سمُرات. فلما عضد الثالثة: فإذا بحبشية نافشة شعرها، واضعة يدها على عاتقها، تضرب بأنيابها. وخلفها سادنها، فقال خالد:

يا عزُّ كُفرانك لا سُبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة. ثم قتل السادن.

[صنم هبل]

صنم هبل وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها. وأعظمها: هُبَل، وكان من عقيق أحمر على صورة الإنسان. وكانوا إذا اختصموا، أو أرادوا سفرًا: أتوه فاستقسموا بالقداح عنده. وهو الذي قال فيه أبو سفيان يوم أحد: " اعْلُ هبل " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قولوا: الله أعلى وأجل. «

وكان لهم إساف ونائلة، قيل: أصلهما أن إسافا رجل من جرهم، ونائلة امرأة منهم، فدخلا البيت، ففجر بها فيه. فمسخهما الله فيه حجرين، فأخرجهما فوضعوهما ليتعظ بهما الناس، فلما طال الأمد وعبدت الأصنام: عبدا.

[ذو الخلصة]

ذو الخلصة وكان لخَثْعَم وبجِيلة صنم يقال له: ذو الخَلَصة، بين مكة والمدينة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله البجلي: ألا تريحني من ذي الخلصة؟ فسار إليه بأحمس. فقاتلته همدان، فظفر بهم وهدمه.

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام.

وكان لأهل كل واد بمكة صنم، إذا أراد أحدهم سفرًا كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به.

[صنم عم أنس]

صنم عم أنس قال ابن إسحاق: وكان لخولان صنم يقال له: عَمّ أنس، وفيهم أنزل الله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الأنعام: 136]. (1)

فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد، قالت قريش: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت. وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة.

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة: وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا. فجعل يطعن في وجوهها وعيونها، ويقول: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81] وهي تتساقط على رءوسها، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحُرِّقت.

[بدء الوحي]

رجعنا إلى سيرته صلى الله عليه وسلم فنقول:

بدء الوحي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدِئ برسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي: الرؤيا الصادقة. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق، الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء. فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد. قبل أن يَنْزع إلى أهله. ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فاجأه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجَهْد. ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني الثالثة فغطّني الثالثة. ثم أرسلني، فقال لي في الثالثة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ – خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ – اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: 1 – 3] (1) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة بنت خويلد. فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة – وأخبرها الخبر – لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتُكْسِب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – ابن عم خديجة – وكان قد تنصر في الجاهلية. وكان يكتب الكتاب العبراني. فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك؟ قال: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي. وإن يُدْرِكْني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم أنشد ورقة:

لججت , وكنت في الذكرى لجوجًا ... لهمّ طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا

ببطن المكتين على رجائي ... حديثَك أن أرى منه خروجا

بما خبرتنا من قول قُس ... من الرهبان أكره أن يعوجا

بأن محمدًا سيسود قومًا ... ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا

فيلقى من يحاربه خسارا ... ويلقى من يسالمه فلوجا

فيا ليتي إذا ما كان ذاكم ... شهدت وكنت أولهم ولوجا

ولوجًا بالذي كرهت قريش ... ولو عَجّت بمكتها عجيجا

أرَجّي بالذي كرهوا جميعا ... إلى ذي العرش –إن سفلوا– عروجا

وهل أمر السفالة غير كفر ... بمن يختار من سَمَك البروجا

فإن يبقوا وأبقَ تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا

وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة خروجا

فلم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي. حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا. حتى كان يذهب إلى رءوس شواهق الجبال، يريد أن يلقي بنفسه منها، كلما أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا " فيسكن لذلك جأشه، وتَقَر نفسه، فيرجع، فإذا طال عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل، فيقول له ذلك.

فبينما هو يوما يمشي إذ سمع صوتا من السماء. قال: فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعبت منه، فرجعت إلى أهلي، فقلت: دثروني. دثروني. فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 1 - 2] (1) فحمي الوحي وتتابع.»

[أنواع الوحي]

أنواع الوحي وكان الوحي الذي يأتيه صلى الله عليه وسلم أنواعا:

أحدها: الرؤيا. قال عبيد بن عمر: " رؤيا الأنبياء وحي " ثم قرأ: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: 102].

الثاني: ما كان الملك يلقيه في رُوعه - أي قلبه - من غير أن يراه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نَفَث في روعي: أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله. فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته. «

الثالث: أن الملك يتمثل له رجلا فيخاطبه. وفي هذه المرتبة: كان يراه الصحابة أحيانا.

الرابع: أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليه. فيلتبس به الملك. حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد. وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض. وجاءه مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فكادت تُرَض.

الخامس: أن يأتيه الملك في الصورة التي خلق عليها. فيوحي إليه ما شاء الله. وهذا وقع مرتين، كما ذكر الله سبحانه في سورة النجم.

السادس: ما أوحاه الله له فوق السموات ليلة المعراج، من فرض الصلاة وغيرها.

قال ابن القيم رحمه الله: أول ما أوحى إليه ربه: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق. وذلك أول نبوته صلى الله عليه وسلم. فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ. ثم أنزل الله عليه: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 1 – 2] (1) فنبأه باقرأ، وأرسله ب: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1] ثم أمره: أن ينذر عشيرته الأقربين. ثم أنذر قومه. ثم أنذر من حولهم من العرب. ثم أنذر العرب قاطبة. ثم أنذر العالمين.

فأقام بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة من غير قتال ولا جزية. ويأمره الله بالكف والصبر. ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال. ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن لم يقاتله. ثم أمره بقتال المشركين، حتى يكون الدين كله لله.

[أول من آمن]

أول من آمن ولما دعا إلى الله: استجاب له عباد من كل قبيلة. فكان حائز السبق: صديق الأمة أبا بكر رضي الله عنه. فوازره في دين الله. ودعا معه إلى الله. فاستجاب لأبي بكر عثمان وطلحة وسعد رضي الله عنهم. وبادر إلى استجابته أيضًا صديقة النساء خديجة رضي الله عنها. وبادر إلى الإسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان ابن ثمان سنين، وقيل: أكثر. إذ كان في كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذه من عمه.

[شأن زيد بن حارثة]

شأن زيد بن حارثة وبادر زيد بن حارثة رضي الله عنه، حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما لخديجة، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها. «وقدم أبوه حارثة وعمه في فدائه، فقالا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تَفُكُّون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عبدِك. فأحسن لنا في فدائه. فقال صلى الله عليه وسلم: فهل غير ذلك؟ فقالوا: وما هو؟ قال: أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم. وإن اختارني: فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني" قالوا: قد زدتنا على النّصَف، وأحسنت. فدعاه. فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم أبي وعمي. قال: فأنا من قد علمت. وقد رأيت صحبتي لك. فاخترني، أو اخترهما. فقال: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا. أنت مني مكان أبي وعمي. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية. وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك خرج إلى الحِجْر. فقال: أشهدكم أن زيدا ابني، أرثه ويرثني فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما. فانصرفا. ودُعِيَ: زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب: 5] (1) » قال الزهري: ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد.

وأسلم ورقة بن نوفل. وفي جامع الترمذي: " أن النبي صلى الله عليه وسلم «رآه في المنام في هيئة حسنة. « ودخل الناس في دين الله واحدا بعد واحد. وقريش لا تنكر ذلك، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم وأنها لا تضر ولا تنفع. فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة. فحمى الله رسوله بعمه أبي طالب. لأنه كان شريفا معظما. وكان من حكمة أحكم الحاكمين: بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها.

وأما أصحابه: فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب. منهم: عمار بن ياسر، وأمه سُمَيّة، وأهل بيته. عُذِّبوا في الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ بهم – وهم يعذبون – يقول: «صبرا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» .

[سمية أول شهيدة]

سمية أول شهيدة ومرَّ أبو جهل بسُمَيّة – أم عمار رضي الله عنهما – وهي تعذب، وزوجها وابنها. فطعنها بحربة في فرجها فقتلها.

وكان الصديق إذا مرَّ بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه. منهم بلال. فإنه عذب في الله أشد العذاب. ومنهم عامر بن فُهَيرة، وجارية لبني عدي، كان عمر يعذبها على الإسلام. فقال أبو قحافة – عثمان بن عامر – لابنه أبي بكر: يا بني، أراك تعتق رقابا ضعافا. فلو أعتقت قومًا جلدًا يمنعونك؟ فقال: إني أريد ما أريد. وكان بلال كلما اشتد به العذاب يقول: أحد، أحد.

[ابتداء الدعوة]

ابتداء الدعوة وقال الزهري: لما ظهر الإسلام، أتى جماعة من كفار قريش إلى من آمن من عشائرهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم. قال الترمذي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمرو بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهم. قالوا: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين مستخفيا. ثم أعلن في الرابعة. فدعا الناس عشر سنين، يوافي المواسم كل عام، يتبع الناس في منازلهم. وفي المواسم بعكاظ، ومِجَنّة، وذي المجاز: يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه. ولهم الجنة، فلا يجد أحدا ينصره ويحميه. حتى ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، فيقول: "أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم. فإذا متم كنتم ملوكا في الجنة" وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه. فإنه صابئ كذاب، فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد. ويؤذونه، ويقولون: عشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك. وهو يقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا ولما نزل عليه قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] صعد الصفا فنادى: واصباحاه. فلما اجتمعوا إليه قال: لو أخبرتكم أن خيلا تريد أن تخرج عليكم من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ - مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 1 - 2]. (1) »

قال ابن القيم رحمه الله: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله مستخفيًا ثلاث سنين، ثم نزل عليه: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: 94]

[أول دم أهريق]

أول دم أهريق وفي السنة الرابعة: ضرب سعد بن أبي وقاص رجلًا من المشركين فشَجّه. وذلك: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون في الشعاب، فيصلون فيها. فرآهم رجل من الكفار، ومعه جماعة من قريش، فسبوهم. وضرب سعد بن أبي وقاص رجلًا منهم، فسال دمه. فكان أول دم أهريق في الإسلام.

[استهزاء المشركين]

استهزاء المشركين وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه - مثل عمار بن ياسر، وخَبّاب بن الأرَتِّ، وصُهيب الرومي، وبلال، وأشباههم - فإذا مرت بهم قريش استهزءوا بهم، وقالوا: أهؤلاء - جلساؤه - قد من الله عليهم من بيننا؟ فأنزل الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: 53] (3) وفيهم نزل: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [النحل: 41]

وقال أبو جهل: والله لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنَّ على رقبته. فبلغه أن رسول الله يصلي، فأتاه. فقال: ألم أَنْهَك عن الصلاة؟ فانتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أَتَنْتَهِرني، وأنا أعز أهل البطحاء؟ فنزل قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى - عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [العلق: 9 - 10] وفي بعض الروايات، أنه قال: ألم أَنْهك؟ فوالله ما في مكة أعز من ناديَّ.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: «قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته لأطأن على رقبته. فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وزعم لَيَطأَنَّ رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، وقال: بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا" فأنزل الله تعالى: - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - {كَلَّا

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى – أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق: 6 – 7].« رجلا وأربع نسوة. وكان أول من هاجر إليها: عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وستر قوم إسلامهم.

وممن خرج: الزبير وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبو سلمة وامرأته رضي الله عنهم. خرجوا متسللين سرا، فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار. فحملوهم إلى الحبشة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر. فلم يدركوا منهم أحدًا. وكان خروجهم في رجب. فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان. ثم رجعوا إلى مكة في شوال، لما بلغهم: أن قريشا صافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَفُّوا عنه.

وكان سبب ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم. فلما بلغ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى – وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19 – 20] ألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وقد علمنا أن الله يخلق ويرزق ويحيي ويميت ولكن آلهتنا تشفع عنده. فلما بلغ السجدة سجد، وسجد معه المسلمون والمشركون كلهم. إلا شيخًا من قريش. رفع إلى جبهته كفا من حصى فسجد عليه. وقال: يكفيني هذا.

فحزن النبي صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا،

[الهجرة الأولى إلى الحبشة]

الهجرة الأولى إلى الحبشة وفي السنة الخامسة: «أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لما اشتد عليهم العذاب والأذى. وقال: إن فيها رجلا لا يُظلم الناس عنده. «

وكانت الحبشة متجر قريش. وكان أهل هذه الهجرة الأولى: اثني عشر وخاف من الله خوفا عظيما، فأنزل الله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج: 52] الآيات .

ولما استمر النبي صلى الله عليه وسلم على سب آلهتهم، عادوا إلى شر مما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم.

[الهجرة الثانية إلى الحبشة]

الهجرة الثانية إلى الحبشة فلما قرب مهاجرة الحبشة من مكة، وبلغهم أمرهم، توقفوا عن الدخول. ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش. ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب من قريش وسطت بهم عشائرهم، وصعب عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره. فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية. فخرجوا.

وكان عدة من خرج في المرة الثانية: ثلاثة وثمانين رجلا – إن كان فيهم عمار بن ياسر – ومن النساء تسع عشر امرأة. فلما سمعوا بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا، ومن النساء ثمان. ومات منهم رجلان بمكة. وحبس سبعة. وشهد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلا.

[كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يزوجه أم حبيبة]

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يزوجه أم حبيبة فلما كان شهر ربيع سنة سبع من الهجرة. كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام. وكتب إليه: أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان. وكانت مهاجرة مع زوجها عبد الله بن جحش. فتنصر هناك ومات نصرانيا.

وكتب إليه أيضًا: أن يبعث إليه من بقي من أصحابه. فلما قرأ الكتاب أسلم. وقال: لو قدرت أن آتيه لأتيته. وزوجه أم حبيبة، وأصدقها عنه أربعمائة دينار. وحمل بقية أصحابه في سفينتين. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، وقد فتحها.

[بعث قريش إلى النجاشي تطلب إرجاع المسلمين]

بعث قريش إلى النجاشي تطلب إرجاع المسلمين ولما كان بعد بدر: اجتمعت قريش في دار الندوة. وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي ثأرًا. فاجمعوا مالا، وأهدوه إلى النجاشي، لعله يدفع إليكم من عنده ولْنَنْتَدِبْ لذلك رجلين من أهل رأيكم. فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد (1) مع الهدية. فركبا البحر. فلما دخلا على النجاشي سجدا له، وسلما عليه. وقالا: قومنا لك ناصحون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم اتبعوا رجلا كذابًا. خرج فينا يزعم أنه رسول الله، ولم يتبعه إلا السفهاء فضيقنا عليهم، وألجأناهم إلى شعب بأرضنا، لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد. فقتلهم الجوع والعطش. فلما اشتد عليهم الأمر، بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك. فاحذرهم. وادفعهم إلينا لنكفيكهم، وآية ذلك: أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك، ولا يحيونك بالتحية التي تحيَّى بها، رغبة عن دينك.

فدعاهم النجاشي. فلما حضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب "يستأذن عليك حزب الله" فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه. ففعل. قال: نعم. فليدخلوا بإذن الله وذمته. فدخلوا ولم يسجدوا له. فقال: ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: إنما نسجد لله الذي خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان. فبعث الله فينا نبيا صادقًا. وأمرنا بالتحية التي رضيها الله. وهي " السلام " تحية أهل الجنة.

فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟ فقال جعفر: أنا. قال: فتكلم.

قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم. وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي. فأمُرْ هذين الرجلين فليتكلم أحدهما، فتسمع محاورتنا.

فقال عمرو لجعفر: تكلم. فقال جعفر للنجاشي: سله، أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم. فقال عمرو: بل أحرار كرام.

فقال: هل أهرقنا دمًا بغير حق فيقتص منا؟ قال عمرو: ولا قطرة.

فقال: هل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟ فقال عمرو: ولا قيراطًا.

فقال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال: كنا نحن وهم على أمر واحد، على دين آبائنا. فتركوا ذلك واتبعوا غيره.

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه، وما الذي اتبعتموه؟ قل واصْدُقني.

فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه وهو دين الشيطان: كنا نكفر بالله، ونعبد الحجارة. وأما الذي تحولنا إليه: فدين الله الإسلامُ، جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقًا له.

فقال: تكلمت بأمر عظيم. فعلى رِسْلك.

ثم أمر بضرب الناقوس، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب. فقال لهم: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا؟ قالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى، وقال: مَن آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي لجعفر رضي الله عنه: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟.

فقال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر. ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم. ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له.

فقال: اقرأ مما يقرأ عليكم. فقرأ سورتي العنكبوت والروم. ففاضت عينا النجاشي من الدمع. فقال: زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف.

فأراد عمرو أن يُغْضِب النجاشي. فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه.

فقال: ما تقولون في عيسى وأُمه؟ فقرأ عليهم سورة مريم. فلما أتى على ذكر عيسى وأمه: رفع النجاشي بقَشّةٍ من سواكه قدر ما يقذِي العين. فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيرًا.

وفيه نزل قول الله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ - وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: 83 - 84] الآيات. (1)

فأقبل النجاشي على جعفر. ثم قال: اذهبوا فأنتم سُيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سَبّكم غرم. فلا هوادة (2) اليوم على حزب إبراهيم.

[موت النجاشي]

موت النجاشي «ولما مات النجاشي، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه كما يصلي على الجنائز. فقال المنافقون: يصلي على علج مات بأرض الحبشة. فأنزل الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} [آل عمران: 199] الآية. (3) «

وقيل: إن إرسال قريش في طلبهم كان قبل الهجرة إلى المدينة.

وفي سنة خمس من النبوة استتر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

[إسلام حمزة بن عبد المطلب]

إسلام حمزة بن عبد المطلب وفي السنة السادسة، أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر.

قال ابن إسحاق: مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا، فآذاه ونال منه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد. وكانت مولاة لعبد الله بن جعدان في مسكن لها على الصفا، تسمع ما يقول أبو جهل. وأقبل حمزة من القَنص متوشحًا قوسه. وكان يسمى: أَعَزَّ قريش. فأخبرته مولاة ابن جدعان بما سمعت من أبي جهل. فغضب. ودخل المسجد - وأبو جهل جالس في نادي قومه - فقال له حمزة: يا مُصَفِّر استه. تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشَجّه مُوضِحة. فثار رجال من بني مخزوم. وثار بنو هاشم. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة. فإني سببت ابن أخيه سبا قبيحًا. فعلمت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَزَّ. فكفوا عنه بعض ما كانوا ينالون منه.

[إسلام عمر رضي الله عنه]

إسلام عمر رضي الله عنه وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: إما عمر بن الخطاب، أو أبي جهل بن هشام " فكان أحبهما إلى الله: عمر رضي الله عنه. (1) «

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال لعمر رضي الله عنه: «لم سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام. ثم شرح الله صدري للإسلام. وأول شيء سمعته من القرآن وَوَقَر في صدري: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه: 8] (1) فما في الأرض نسمة أحب إليَّ من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألت عنه؟ فقيل لي: هو في دار الأرقم. فأتيت الدار – وحمزة في أصحابه جلوسًا في الدار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت – فضربت الباب، فاستجمع القوم. فقال لهم حمزة: ما لكم؟ فقالوا: عمر، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخذ بمجامع ثيابي. ثم نترني نترة لم أتمالك أن وقعت على ركبتي. فقال: ما أنت بمنته يا عمر؟ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق، إن متنا أو حيينا؟ قال: بلى. فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فخرجنا في صفين. حمزة في صف، وأنا في صف – له كديد ككديد الطحن – حتى دخلنا المسجد. فلما نظرت إلينا قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط. فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم: الفاروق» . وقال صهيب: لما أسلم عمر رضي الله عنه جلسنا حول البيت حِلقًا، فطفنا واستنصفنا مما غلظ علينا.

[حماية أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم]

حماية أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزايد أمره ويقوى، ورأوا ما صنع أبو طالب به. مشوا إليه بعمارة بن الوليد. فقالوا: يا أبا طالب، هذا أنهد فتى في قريش وأجمله. فخذه وادفع إلينا هذا الذي خالف دينك ودين آبائك فنقتله، فإنما هو رجل برجل. فقال: بئسما تسومونني، تعطوني ابنكم أربيه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ فقال المطعم بن عدي بن نوفل: يا أبا طالب، قد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص منك بكل طريق. قال: والله ما أنصفتموني، ولكنك أجمعت على خذلاني، فاصنع ما بدا لك.

وقال أشراف مكة لأبي طالب: إما أن تُخلي بيننا وبينه فنكفيكه. فإنك على مثل ما نحن عليه أو أجمع لحربنا. فإنا لسنا بتاركي ابن أخيك على هذا، حتى نهلكه أو يكف عنا، فقد طلبنا التخلص من حربك بكل ما نظن أنه يخلص.

فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يابن أخي، إن قومك جاءوني، وقالوا كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت. فاكْفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك. فقال صلى الله عليه وسلم: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك في طلبه" فقال: امض على أمرك، فوالله لا أسلمك أبدًا. «

ودعا أبو طالب أقاربه إلى نصرته فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب، غير أبي لهب، وقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقَرَّ بذاك منك عيونا

ودعوتني , وعرفتُ أنك ناصحي ... ولقد صَدَقْتَ , وكنتَ ثَمَّ أمينا

وعرضت دينا قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حِذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

[حصار بني هاشم في الشعب]

حصار بني هاشم في الشعب ولما اجتمعوا – مؤمنهم وكافرهم – على منع رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجتمعت قريش. فأجمعوا أمرهم على ألّا يجالسوهم، ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم. حتى يُسلِموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل. وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق " ألّا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل " فأمرهم أبو طالب أن يدخلوا شعبه فلبثوا فيه ثلاث سنين. واشتد عليهم البلاء وقطعوا عنهم الأسواق. فلا يتركون طعامًا يدخل مكة، ولا بيعًا إلا بادروا فاشتروه. ومنعوه أن يصل شيء منه إلى بني هاشم. حتى كان يسمع أصوات نسائهم يتضاغون من وراء الشِّعْب من الجوع. واشتدوا على من أسلم ممن لم يدخل الشعب، فأوثقهم. وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدًا، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله.

فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمره أن يأتي أحد فُرُشهم.

وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة التي قال فيها:

ولما رأيت القوم لا وُدَّ فيهمو ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وأسرتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل

أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمغيظة ... ومن ملحق في الدين ما لم يحاول

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل

وبالبيت – حق البيت – من بطن مكة ... وباللَّه إن اللَّه ليس بغافل

وبالحجر المسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل

وأشواط بين المروتين إلى الصفا ... وما فيهما من صورة وتماثل

وبالمشعر الأقصى , إذا عمدوا له ... إلالٍ إلى مفضي الشراج القوابل

ومن حج بيت اللَّه من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل راجل

وليلة جمع والمنازل من منى ... وهل فوقها من حرمة ومنازل؟

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ؟ ... وهل من معيذ يتقي اللَّه عادل؟

كذبتم وبيت اللَّه نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل

كذبتم وبيت اللَّه نبزي محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن آبائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكمو ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وإنا لعمر اللَّه إن جد ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

وما ترك قوم – لا أبا لك – سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في حرمة وفواضل

فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغائل

ومر أبو سفيان عني معرضا ... كما مر قيل من عظام المقاول

تفر إلى نجد وبرد مياهه ... وتزعم أني لست عنك بغافل

أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ... ولا معظم عند الأمور الجلائل

أمطعم إن القوم ساموك خطة ... وإني متى أوكل فلست بآكلي

جزى اللَّه عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجلا غير آجل

فعبد مناف أنتمو خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل

وكنتم حديثا حطب قدر فأنتمو ال ... آن حطاب أقدر ومراجل

فكل صديق وابن أخت نعده ... لعمري وجدنا غبه غير طائل

سوى أن رهطا من كلاب بن مرة ... براء إلينا من معقة خاذل

ونعم ابن أخت القوم غير مكذب ... زهيرا حساما مفردا من حمائل

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل

فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل؟

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل

فواللَّه لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا , غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا , ولا يعنى بقول الأباطل

حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

[نقض الصحيفة]

نقض الصحيفة ثم بعد ذلك مشى هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي. وكان يصل بني هاشم في الشعب خفية بالليل بالطعام – مشى إلى زهير بن أبي أمية المخزومي – وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب – وقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وأخوالك بحيث تعلم؟ فقال ويحك، فما أصنع وأنا رجل واحد؟ أما والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها. قال أنا. قال أبغنا ثالثا. قال أبو البختري بن هشام. قال أبغنا رابعا. قال زمعة بن الأسود. قال أبغنا خامسا. قال المطعم بن عدي. قال فاجتمعوا عند الحجون، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة. فقال زهير أنا أبدأ بها.

فجاءوا إلى الكعبة – وقريش محدقة بها – فنادى زهير يا أهل مكة، إنا نأكل الطعام. ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى. والله لا أقعد حتى تشق الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل كذبت. والله لا تشق. فقال زمعة أنت والله أكذب. ما رضينا كتابتها حين كتبت. وقال أبو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقار عليه. فقال المطعم بن عدي. وكذب من قال غير ذلك. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحو ذلك. فقال أبو جهل هذا أمر قد قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان. وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلم تترك اسما لله إلا لحسته وبقي ما فيها من شرك وظلم وقطيعة وأطلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم. فذكر ذلك لعمه. فقال لا، والثواقب ما كذبتني. فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب، حتى أتى المسجد وهو حافل في قريش. فلما رأوهم ظنوا أنهم خرجوا من شدة الحصار وأتوا ليعطوهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فتكلم أبو طالب. فقال قد حدث أمر. لعله أن يكون بيننا وبينكم صلحا. فأتوا بصحيفتكم – وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها، فلا يأتون بها – فأتوا بها معجبين. لا يشكون أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – مدفوع إليهم قالوا: قد آن لكم أن تفيئوا وترجعوا خطرا لهلكة قومكم.

فقال أبو طالب: لأعطينكم أمرا فيه نصف، إن ابني أخبرني – ولم يكذبني – أن الله عز وجل بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم وأنه محا كل اسم له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم. فإن كان ما قال حقا، فوالله لا نسلمه إليكم حتى نموت عن آخرنا. وإن كان الذي يقول باطلا، دفعناه إليكم فقتلتموه. أو استحييتموه. قالوا: قد رضينا. ففتحوا

الصحيفة فوجدوها كما أخبر. فقالوا: هذا سحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا إلى شر ما هم عليه. فتكلم عند ذلك النفر الذين تعاقدوا –كما تقدم – وقال أبو طالب شعرا يمدح النفر الذين تعاقدوا على نقض الصحيفة. ويمدح النجاشي، منه:

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدى بحزم ويرشد

أعان عليها كل صقر كأنه ... إذا ما مشى في رفرف الدرع أجرد

قعودا لدى جنب الحجون كأنهم ... مقاولة بل هم أعز وأمجد.

وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح. وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس. وكان خروجهم في سنة عشر من النبوة. ومات أبو طالب بعدها بستة أشهر.

[موت خديجة وأبي طالب]

موت خديجة وأبي طالب وماتت خديجة أم المؤمنين –رضي الله عنها– بعد موت أبي طالب بأيام. فاشتد البلاء على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – من قومه بعد موت خديجة وعمه وتجرءوا عليه وكاشفوه بالأذى. وأرادوا قتله. فمنعهم الذي من ذلك.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما " حضرتهم. وقد اجتمع أشرافهم في الحجر. فذكروا رسول الله –صلى الله عليه وسلم –. فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا عليه سفه أحلامنا. وشتم آباءنا. وفرق جماعتنا، فبينما هم في ذلك. إذ أقبل. فاستلم الركن. فلما مر بهم غمزوه."

وفي حديث أنه قال لهم في الثانية «لقد جئتكم بالذبح» وأنهم قالوا له يا أبا القاسم ما كنت جهولا. فانصرف راشدا. فلما كان من الغد اجتمعوا فقالوا: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم كذلك. إذ طلع عليهم فقالوا: قوموا إليه وثبة رجل واحد. فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط آخذا بمجامع ردائه وقام أبو بكر دونه وهو يبكي، يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ .

وفي حديث أسماء فأتى الصريخ إلى أبي بكر. فقالوا: أدرك صاحبك فخرج من عندنا وله غدائر أربع فخرج وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر. فرجع إلينا لا يمس شيئا من غدائر إلا رجع معه. ومرة كان يصلي عند البيت، ورهط من أشرافهم يرونه فأتى أحدهم بسلا جزور. فرماه على ظهره. وكانوا يعلمون صدقه وأمانته. وأن ما جاء به هو الحق. لكنهم كما قال الله تعالى {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: 33].

وذكر الزهري: أن أبا جهل. وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق، استمعوا قراءة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في الليل فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا. وحملوا فحملنا. وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان. قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذا؟ والله لا نسمع له أبدا. ولا نصدقه أبدا."

وفي رواية " إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا: فينا الندوة فقلنا: نعم. قالوا: وفينا الحجابة فقلنا: نعم. قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. وذكر نحوه ".

[سؤالهم عن الروح وأهل الكهف]

سؤالهم عن الروح وأهل الكهف وكانوا يرسلون إلى أهل الكتاب يسألونهم عن أمره؟ . قال ابن إسحاق عن ابن عباس: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته. فإنهم أهل الكتاب. وعنده ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قدما المدينة، فسألاهم عنه؟ ووصفا لهم أمره. فقالت لهما أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث. فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو رجل منقول. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها. فما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا، حتى قدما مكة. فقالوا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها.

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عما أخبرهم أحبار يهود. فجاءه جبريل بسورة الكهف فيها خبر ما سألوه عنه. من الفتية والرجل الطواف. وجاءه بقوله {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: 85]- الآية.

قال ابن إسحاق: فافتتح السورة بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروا عليه من ذلك. فقال {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الكهف: 1] يعني أنك رسول مني، أي تحقيق ما سألوه عنه من نبوتك {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} [الكهف: 1] أي أنزله معتدلا. لا خلاف فيه - وذكر تفسير السورة - إلى أن قال {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا} [الكهف: 9] أي ما رأوا من قدرتي في أمر الخلائق وفيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك وأعجب.

وعن ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة أعظم من شأن أصحاب الكهف. قال ابن عباس والأمر على ما ذكروا فإن مكثهم نياما ثلاثمائة سنة آية دالة على قدرة الله ومشيئته.

وهي آية دالة على معاد الأبدان كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف: 21] وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم هل تعاد الأرواح وحدها؟ أم الأرواح والأبدان؟ فجعلهم الله آية دالة على معاد الأبدان وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم - بقصتهم. من غير أن يعلمه بشر. آية دالة على نبوته. فكانت قصتهم آية دالة على الأصول الثلاثة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر.

ومع هذا: فمن آيات الله ما هو أعجب من ذلك. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سؤالهم عن هذه الآيات التي سألوه عنها ليعلموا: هل هو نبي صادق. أو كاذب؟ فقال {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 83] إلى قوله - {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} [الكهف: 100] وقوله {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} [يوسف: 7]- إلى قوله - {إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف: 102]. والقرآن مملوء من إخباره بالغيب الماضي. الذي لا يعلمه أحد من البشر. إلا من جهة الأنبياء. لا من جهة الأولياء ولا من جهة غيرها.

وقد عرفوا أنه -صلى الله عليه وسلم - لا يتعلم هذا من بشر. ففيه آية وبرهان قاطع على صدقه ونبوته.

[قول الوليد بن المغيرة في القرآن سحر]

قول الوليد بن المغيرة في القرآن " سحر " وعن ابن عباس قال «إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال اقرأ علي. فقرأ عليه {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} [النحل: 90]- الآية (1) فقال أعد. فأعاد. فقال والله إن له لحلاوة. وإن عليه لطلاوة. وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق. وإنه ليعلو ولا يعلى عليه. وإنه ليحطم ما تحته. وما يقول هذا بشر. «

وفي رواية " وبلغ ذلك أبا جهل فأتاه. فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال ولم؟ قال آتيت محمدا لتعوض مما قبله. قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال فقل فيه قولا يبلغ قومك: إنك منكر له. قال ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني إلخ."

وفي رواية أن الوليد بن المغيرة قال لهم – وقد حضر الموسم – " ستقدم عليكم وفود العرب من كل جانب وقد سمعوا بأمر صاحبكم. فأجمعوا فيه رأيا، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضا. فقالوا: فأنت فقل. فقال بل قولوا وأنا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال ما هو بزمرة الكهان ولا سجعهم. قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه. فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخالجه. قالوا: نقول شاعر. قال ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه. ومقبوضه ومبسوطه قالوا: نقول ساحر قال ما هو بساحر. لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بعقدهم ولا نفثهم قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال ما نقول من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون للناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه رسول الله –صلى الله عليه وسلم.–

فأنزل الله في الوليد بن المغيرة {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: 11]– إلى قوله – {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر: 26]. ونزل في النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من عند الله {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} [الحجر: 91] (2) أي أصنافا. وكانوا يسألون رسول الله –صلى الله عليه وسلم – الآيات فمنها ما يأتيهم الله به لحكمة أرادها الله سبحانه.

[انشقاق القمر]

انشقاق القمر فمن ذلك أنهم سألوه أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر. وأنزل قوله {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1]- الآيات - إلى قوله {وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} [القمر: 3] (3) فقالوا: سحركم انظروا إلى السفار فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق. فقدموا من كل وجه. فقالوا: رأينا. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ربما طلب من الآيات - التي يقترحون - رغبة منه في إيمانهم فيجاب بأنها: لا تستلزم الهدى. بل توجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها.

[سؤالهم الآيات]

سؤالهم الآيات والله سبحانه قد يظهر الآيات الكثيرة. مع طبعه على قلب الكافر كفرعون قال تعالى {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} [الأنعام: 109]- إلى قوله - {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: 111] وقال تعالى {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء: 59]- الآية.

بين سبحانه وتعالى: أنه إنما منعه أن يرسل بها إلا أن كذب بها الأولون فإذ كذب هؤلاء كذلك استحقوا عذاب الاستئصال. وروى أهل التفسير وأهل الحديث عن ابن عباس. قال «سأله أهل مكة أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا. فقيل له إن شئت نستأني بهم وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا، كما هلك من قبلهم. فقال بل أستأني بهم فأنزل الله {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء: 59] » - الآية.

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن في الآية. قال رحمة لكم أيها الأمة إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها: أصابكم ما أصاب من قبلكم. وكانت الآيات تأتيهم آية بعد آية. فلا يؤمنون بها قال تعالى {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} [يس: 46]- الآيات

أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم فيعرضون عنها، وأنهم سيرون صدق ما جاءت به الرسل كما أهلك الله من كان قبلهم بالذنوب التي هي تكذيب الرسل فإن الله سبحانه وتعالى يقول {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا} [القصص: 59]- الآية (1) وأخبر بشدة كفرهم بأنهم لو أنزل عليهم كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لكذبوا به وبين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل. إذ كانوا لا يستطيعون أن يروا الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها. وحينئذ يقع اللبس عليهم لظنهم الرسول بشرا لا ملكا.

وقال تعالى {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء: 90]- الآيات (2) . وهذه الآيات لو أجيبوا إليها، ثم لم يؤمنوا: لأتاهم عذاب الاستئصال وهي لا توجب الإيمان بل إقامة للحجة والحجة قائمة بغيرها. وهي أيضا مما لا يصلح فإن قولهم {حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء: 90] يقتضي تفجيرها بمكة فيصير واديا ذا زرع والله سبحانه وتعالى قضى بسابق حكمته أن جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا. فيكون حجهم للدنيا.

وإذا كان له جنة من نخيل وعنب كان في هذا من التوسع في الدنيا ما يقتضي نقص درجته.

وكذلك إذا كان له قصر من زخرف. وهو الذهب. أما إسقاط السماء كسفا: فهذا لا يكون إلا يوم القيامة. وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلا،: فهذا لما سأل قوم موسى موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة. وقال تعالى {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} [النساء: 153]- الآيات.

بين سبحانه أن المشركين وأهل الكتاب سألوه إنزال كتاب من السماء وبين أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك وأنهم إنما سألوه تعنتا، فقال عن المشركين {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ} [الأنعام: 7]- الآية.

وقال عن أهل الكتاب {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ} [النساء: 153]- إلى قوله - {مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء: 154] فهم - مع هذا - نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين. فكان فيه من الاعتبار أن الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة لم يكن في مجيئها منفعة لهم بل فيها وجوب عقوبة عذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا، وتغليظ الأمر عليهم. كما قال تعالى {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} [النساء: 160] الآية.

ولما طلب الحواريون من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابا، لم يعذب الله به أحدا من العالمين. وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين بالرسل بعذاب الاستئصال عاجلا. وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى ليبقى ذكرها في الأرض. إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال. كما قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} [القصص: 43] بل كان بنو إسرائيل لما كانوا يفعلون ما يفعلون - من الكفر والمعاصي - يعذب الله بعضهم ويبقي بعضهم إذ كانوا لا يتفقون على الكفر ولم يزل في الأرض منهم أمة باقية على الصلاح. قال تعالى {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} [الأعراف: 168]- الآية وقال {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: 113]- الآيتين.

وكان من حكمته تعالى ورحمته – لما أرسل محمدا –صلى الله عليه وسلم – خاتم المرسلين – ألا يهلك قومه بعذاب الاستئصال بل عذب بعضهم بأنواع العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: 95]– الآيات. والذي دعا عليه النبي –صلى الله عليه وسلم – أن يسلط عليه كلبا من كلابه فافترسه الأسد كما قال تعالى {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ} [التوبة: 52]– الآية. فأخبر سبحانه أنه يعذب الكفار تارة بأيدي المؤمنين بالجهاد والحدود وتارة بغير ذلك.

فكان ذلك مما يوجب إيمان أكثرهم كما جرى لقريش وغيرهم. فإنه لو أهلكهم لبادوا، وانقطعت المنفعة بهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن بخلاف ما عذبهم به من الإذلال والقهر فإن في ذلك ما يوجب عجزهم والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها، فلا تكاد تنصرف عنها. بخلاف عجزها عنها. فإنه يدعوها إلى التوبة كما قيل من العصمة ألا تقدر ولهذا آمن عامتهم. وقد ذكر الله في التوراة لموسى:

"إني أقسي قلب فرعون. فلا يؤمن بك لتظهر آياتي وعجائبي."

بين أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته الدالة على صدق أنبيائه في الأرض إذ كان موسى أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له فأظهر له من الآيات ما يبقى ذكره في الأرض. وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون ما أوجب هلاكه وهلاك قومه. وفرعون كان جاحدا للصانع. فلذلك أوتي موسى من الآيات ما يناسب حاله.

وأما بنو إسرائيل – مع المسيح – فكانوا مقرين بالكتاب الأول. فلم يحتاجوا إلى مثل ما احتاج إليه موسى. ولم يكن محتاجا إلى جنس تقرير النبوة إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك. وإنما الحاجة إلى تثبيت نبوته. ومع هذا فقد أظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم ومع هذا لم يأت بآيات الاستئصال. بل بين الله في القرآن أنها لا تنفعهم بل تضرهم. لأنه علم أن قلوبهم كقلوب الأولين. كما قال تعالى {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ – أَتَوَاصَوْا بِهِ} [الذاريات: 52 – 53]– الآية وقال تعالى {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ} [البقرة: 118]– الآية وقال تعالى {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} [القمر: 43] ؟ – الآية وسورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر: 2] وقال فيها {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ} [القمر: 4]. أي يزجرهم عن الكفر زجرا شديدا، إذ كان في تلك الأنباء صدق الرسل والإنذار بالعذاب الذي وقع بالمتقدمين. ولهذا يقول عقيب كل قصة {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر: 16] أي عذابي لمن كذب رسلي، وإنذاري لهم بذلك قبل مجيئه.

ثم قال {أَكُفَّارُكُمْ} [القمر: 43] أيتها الأمة {خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} [القمر: 43] الذين كذبوا الرسل من قبلكم {أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ – أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر: 43 – 44] وذلك أن كونكم تعذبون مثلهم. إما لكونكم لا تستحقون ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فهذا بالنظر إلى فعل الله. وأما بالنظر إلى قوة الرسول –صلى الله عليه وسلم – وأتباعه. فيقولون {نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر: 44] فإنهم أكثر وأقوى، كما قالوا {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم: 73]– إلى قوله – {أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم: 74] أي أموالا ومنظرا.

فقال تعالى {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: 45]. أخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم - بهزيمتهم وهو بمكة في قلة الأتباع وضعف منهم. ولا يظن أحد - قبل أن يهاجر - بالعادة المعروفة أن أمره يعلو، ويقاتلهم. فكان كما أخبر. وذلك ببدر وتلك سنة الله. كما قال تعالى {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ} [الفتح: 23] الآية -. وحيث يظهر الكفار ويغلبون فإنما يكون ذلك لذنوب المؤمنين التي أوجبت نقص إيمانهم فإذا تابوا نصرهم الله كما قال تعالى {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139] فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألا يهلكهم بالاستئصال كالذين من قبلهم قال تعالى {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر: 43] كان لا يأتي بموجب ذلك مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة أكمل في الحكمة والرحمة إذ كان ما أتى به حصل به كمال الهدى والحجة وما امتنع منه دفع من عذاب الاستئصال ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يهتدوا ويؤمنوا.

وكان في إرسال خاتم الرسل -صلى الله عليه وسلم - من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة غيره. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

[خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف]

رجعنا إلى سيرته -صلى الله عليه وسلم.-

خروجه -صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله -صلى الله عليه وسلم - بعد موت عمه خرج إلى الطائف، رجاء أن يؤووه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم حتى يبلغ رسالة ربه. ودعاهم إلى الله عز وجل فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرا، وآذوه أشد الأذى. ونالوا منه ما لم ينل قومه. وكان معه زيد بن حارثة مولاه. فأقام بينهم عشرة أيام. لا يدع أحدا من أشرافهم إلا كلمه فقالوا: اخرج من بلدنا. وأغروا به سفهاءهم. فوقفوا له سماطين. وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه هي أشد وقعا من الحجارة. حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه فانصرف إلى مكة محزونا.

وفي مرجعه دعا بالدعاء المشهور «اللَّهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك. لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك.«

فأرسل ربه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة - وهما جبلاها اللذان هي بينهما فقال «بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا. «

فلما نزل بنخلة في مرجعه قام يصلي من الليل ما شاء الله فصرف الله إليه نفرا من الجن. فاستمعوا قراءته ولم يشعر بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - حتى نزل عليه {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} [الأحقاف: 29]- إلى قوله - {أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأحقاف: 32]. وأقام بنخلة أياما. فقال زيد بن حارثة -رضي الله عنه- كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ - يعني قريشا - فقال «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا. وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه. «

ثم انتهى إلى مكة. فأرسل رجلا من خزاعة إلى المطعم بن عدي أدخل في جوارك؟ فقال نعم. فدعا المطعم بنيه وقومه فقال البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت. فإني قد أجرت محمدا. فلا يهجه أحد فانتهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - إلى الركن فاستلمه. وصلى ركعتين. وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به في السلاح حتى دخل بيته.

[الإسراء والمعراج]

الإسراء والمعراج ثم أسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم - إلى بيت القدس راكبا على البراق صحبة جبريل عليه السلام. فنزل هناك. وصلى بالأنبياء إماما. وربط البراق بحلقة باب المسجد. ثم عرج به إلى السماء الدنيا. فرأى فيها آدم. ورأى أرواح السعداء عن يمينه والأشقياء عن شماله. ثم إلى الثانية. فرأى فيها عيسى ويحيى. ثم إلى الثالثة. فرأى فيها يوسف. ثم إلى الرابعة. فرأى فيها إدريس. ثم إلى الخامسة. فرأى فيها هارون. ثم إلى السادسة. فرأى فيها موسى. فلما جاوزه بكى. فقيل له ما يبكيك؟ قال أبكي أن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي. ثم عرج به إلى السماء السابعة. فلقي فيها إبراهيم. ثم إلى سدرة المنتهى. ثم رفع إلى البيت المعمور. فرأى هناك جبريل في صورته له ستمائة جناح. وهو قوله تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى - عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم: 13 - 14] (1) . وكلمه ربه وأعطاه ما أعطاه. وأعطاه الصلاة. فكانت قرة عين رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

فلما أصبح رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في قومه وأخبرهم اشتد تكذيبهم له وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس. فجلاه الله له حتى عاينه. وجعل يخبرهم به. ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا. وأخبرهم عن عيرهم التي رآها في مسراه

ومرجعه وعن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. فكان كما قال. فلم يزدهم ذلك إلا ثبورا. وأبى الظالمون إلا كفورا.

القواعد الأربع

للإمام محمد بن عبدالوهاب بتعليقات الإمام ابن باز رحمهم الله

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن صلفيق الظفيري

مقدمة الشيخ

عبدالعزيز بن باز للقواعد الأربع

بسم الله والحمد لله وصلَّى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فهذه القواعد الأربع نبَّه عليها المؤلف رحمة الله عليه، وهي قواعد مهمة، فمن عقلها وفهمها جيدًا، فَهِمَ دين المشركين، وفَهِمَ دين المسلمين، وأغلبُ الخلق لا يفهمُ هذه القواعد؛ ولهذا التبست عليهم الأمور، فعبدوا القبور وأصحاب القبور،والأولياء، والأشجار والأحجار من دون الله،وهم يحسبون أَنَّهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك.

ومؤلف هذه القواعد: هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ المجدد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، المتوفى سنة ستٍّ ومائتين وألف من الهجرة النبوية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يجمع ـ في مقدمته هذه ـ بين الإفادة، وبين الدعاء للطالب، وهذا من النصح، أن يدعو للطالب بالتوفيق ويفيده، ولا شك إنَّ الطالب إذا قَبِلَ اللهُ هذا الدعاء في حقه سَعِدَ.

قوله: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ»، فإنَّ هؤلاء الخصال الثلاث عنوان السَّعَادَةِ،ـ إذا حرص المؤمن على هذه الخصال، ـ فقد ـ تمت سعادته، فهو يشكرُ الله على ما أعطاه بفعل أوامره، وترك نواهيه، وإذا أذنب استغفر، وتاب إلى الله، هذا هو شأن المؤمن: إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ ولهذا يقول ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[1]

وهذا هو الواجب على المؤمن أنْ يشكر الله عند الرخاء، وعند النعم، من الصحة والعافية، ونعمة الإسلام، ونعمة الأولاد، ونعمة المال إلى غير هذا، فهو يشكر الله عليها بطاعة أمره، وترك نهيه، هذا هو الشكر، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبإ: ١٣] يعني: يطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويصرف النعم في طاعة المولى سبحانه وتعالى، وعند البلاوي من المرض أو موت الولد، أو القريب ونحو ذلك، يصبر ويحتسب، ولا يجزع يتحمل، فلا يضرب خدًا ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، ولا يتكلم بفحش؛ بل يتحمل ويصبر، وعند الذنوب يبادر بالتوبة والاستغفار.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّة مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبَهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

فإذا عرف المؤمن أَنَّ التوحيد إذا دخله الشرك أفسده، كما أنَّ الحدث إذا دخل الطهارة أفسدها، عرف أنَّ أَهمَّ شيءٍ عليه أن يعرفه هو التوحيد على حقيقته، ويعرف الشرك على حقيقته،حتى لا يقع في الشرك، فيبطل توحيده، ويبطل دينه، ويبطل إسلامه.

ـ لأنَّ ـ التوحيد: هو دين الله، وهو الإسلام، وهو الهدى، فإذا فعل شيئًا من أنواع الشرك بطل هذا الإسلام، وبطل هذا الدين؛ كأن يدعو الأموات ويستغيث بهم، أو يسب الدين، أو يسب الله أو يسب الرسول ﷺ، أو يستهزئ بالله ورسوله ﷺ، أو يستهزئ بالدين، أو يدع ما أوجب الله عليه، ويعتقد حلَّ ما حرَّم الله ممَّا هو معلوم من الدِّين بالضرورة، كالزنا وأشباهه، فإذا أتى بشيء من هذه النواقض بطل إسلامه، كما أنَّ من أتى بناقض من نواقض الطهارة من ريح أو بول أو غائط بطلت طهارته، وهكذا توحيده وإسلامه، إذا وجد منه ناقض بطل هذا التوحيد، وهذا الإسلام: كالمسلم الذي يَسُّب الله والدين ويستهزئ به كفر حتى يتوب، وكذا من سبَّ الله كفر، ومن جحد وجوب الصلاة كفر، ومن جحد تحريم الزنا كفر، ومن استغاث بالموتى ونذر لهم كفر، وهكذا فنواقض الإسلام تبطله، كما أنَّ نواقض الطهارة تبطلها.

وممَّا يبيِّن ويشرح لك حقيقة الدِّين أنْ تتعلم هذه القواعد التي جاءت في كتاب الله، فإذا درستها وتأملتها اتضح لك الأمر أكثر.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١]».

شرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القاعدةُ الأولى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم مقرون بتوحيد الربوبية: مقرُّون بأنَّ الله خالقهم ورازقهم، ومدبر أمورهم، وليس عندهم في هذا شك، وَجُهَّال المسلمين اليوم يحسبون أنَّ الإقرار بهذا التوحيد يكفي، إذا أقرَّ أنَّ الله الخالق الرَّازق، وأنه ربه كفى هذا من الجهل؛ إذْ صار المشركون أعلم منهم، فإذا أقرَّ أحدهم بالربوبية، وقال: إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَخَالقي، ورازقي، اعتقد أن ذلك يكفي، لا، ما يكفي ذلك، فالمشركون أقرُّوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف: ٨٧] ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكبوت: ٦١] ـ فالمشركون ـ مُقِرُون بذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يعني: يا محمد: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

فمادمتم تعرفون هذا أفلا تتقون الإشراك باللَّهِ، وترجعون إلى التوحيد والحقِّ، فهم يعرفون هذه الأمور، ويقرُّون بها لِلَّهِ، ومع هذا ما أسلموا فلم ينفعهم ذلك، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ؛ لأنَّهم ما خصوا اللَّهَ بالعبادة؛ بل أشركوا مع اللَّهِ اللَّات والعُزَّى ومناة، وأصنامهم الكثيرة.

فالتوحيد: هو صرف العبادة لِلَّهِ وحده، والإيمان بأنَّه وحده المستحق لها دون ما سواه، وممَّا يبيِّن لك هذا أنَّ المشركين، يقولون: ما دعوناهم وما توجَّهنا إليهم، كما في القاعدة الثانية: إلَّا لطلب القربة والشفاعة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّانِيَّةِ

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هَيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».

شرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما قصدنا أَنَّ الأصنام يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون الأمور، أو يحيون الموتى لا، ما قصدنا هذا، نحن نعرف أنَّ هذا كُلُّهُ لِلَّه ﷻ؛ ولكن قصدناهم ليشفعوا لنا ليقربونا إلى اللّهِ زلفى؛ لأنَّهم أحسن منَّا، فهم أصحاب دين، ولهم طاعات، وأعمال صالحات ولهذا نعبدهم، وندعوهم، ونستغيث بهم، ليقربونا إلى اللَّهِ، وليشفعوا لنا؛ لأنَّهم خيرٌ منَّا وأوجه منَّا، كما قال جلَّا علا عنهم في سورة تنزيل الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] يعني: أنَّهم يقولون: ما نعبدهم، يعني: الأنبياء والصالحين إلَّا ليقربونهم إلى اللَّهِ زلفى يعني: ما عبدناهم لأنَّهم يخلقون، أو يرزقون، لا. عبدناهم؛ لأنَّهم يقرِّبون إلى اللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣]، سمَّاهم في هذه الآية بالكذبة، الكَفَرَة.

فهذا يدل على أنَّ عبادتهم إيَّاهم؛ لأجل طلب التقريب أنَّه من الكُفر، وإن لم يقولوا: أَنَّهم يخلقون ويرزقون، إذا دعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم بقصد القربة، وأنَّهم يشفعون لهم ـ هذا هو الكفر الذي فعله المشركون الأولون؛ ولهذا سمَّاهم كَذَبةً كفرةً؛ يعني: كذبوا بأَنَّهم يقربوهم إلى اللَّهِ، وكفروا بهذا العمل، يقول سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

فأقرُّوا بأنَّ آلهتهم لا تنفع ولا تضر،و مع ذلك يقولون: أنَّهم يشفعون لهم، فهم مقرون بهذا، واللَّهُ يقول جلَّ وعلا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول اللَّه تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافر: ١٨].

وهذا الشرك أبطل حصول الشفاعة لهم، ولم ينفعهم؛ بل ضرَّهم، وإنَّما الذي ينفعهم هو أن يتوبوا إلى اللَّهِ، ويستقيموا على التوحيد، وأن يعبدوا اللَّهَ وحده، وأن يدعوا الإشراك به، هذا هو الذي ينفعهم أن يوحدوا اللَّه، كما هو معنى: «لا إله إلَّا اللَّه» يعني: يَخُصُّون اللَّه بالعبادة والدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر، كُلُّها لِلَّه وحده، ولا يشركون مع اللَّه أحدًا لا نبيًا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا، ولا جِنِّيًا ولا غير ذلك، هذا هو دين اللَّهِ.

والمشركون الذين قاتلهم النَّبِيّ ﷺ فعلوا ما يدل على ذلك، أي: صرفوا العبادة لغير اللَّهِ وأنَّ التوحيد، والدين، والإسلام: هو صرف العبادة لله وحده، وعدم صرفها لغيره، ولو زعم أنَّ ذلك الغير لا يخلق، ولا يرزق، مادام صرف له العبادة، فقد كفر، وإنْ اعتقد أنَّ ذلك المعبود لا يخلق، ولا يرزق، فإنَّ المشركين قد اعتقدوا هذا، فهم يعلمون أنَّ معبوداتهم لا تخلق، ولا ترزق، وأنَّها فقيرة، وأنها مملوكة، فلم يعذرهم اللَّهُ بذلك؛ بل كَفَّرهم بطلبهم الشفاعة من غير اللَّه، وصرفهم العبادة؛ لأجل طلب الشَّفاعة.

فالحاصل: أنَّ دعاءهم لغير اللَّهِ واستغاثتهم بغير اللَّهِ، وصرف بعض العبادات لغير اللَّهِ، يجعل العبد مشركًا،وإنْ أقرَّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المدبر ... الخ، وإنْ أقرَّ بأَنَّ معبوداتهم لا تنفع، ولا تضر؛ ولكنه يريد شفاعتهم، أو يريد أنْ يقربوه، فهذا لا يُخَلِّصُه من الشرك.

فالذي يعبد البدوي، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو يعبد الرسول ﷺ،أو يعبد صنمًا أو جنِّيًا، ويقول: أنا اعتقد أنَّه يقرِّبني، ولا اعتقد أنَّه يخلق، أو يرزق، فإنَّه يُبَيَّنُ له أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر، وأن هذا هو دين المشركين الَّذي كانوا عليه، يقول اللَّهُ تعالى عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُمَر: ٣].

فالواجب عليه أنْ يحذر هذا الدين أي: دين المشركين بالتوبة النصوح والإقلاع عن الشرك، وتعليم من لم يفقه ذلك من إخوانه وعشيرته، وأهل بيته، ويكون عنده نشاط في تبليغ الدعوة، والحرص على تفهيمهم، وأنَّ قولهم: أنَّ الآلهة التي عبدوها تقربهم إلى اللَّهِ زلفى، وأنَّهم لا يقصدون أنَّها تنفع أو تضر؛ وإنَّما قصدوا شفاعتها وتقريبها، أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر؛ كونهم قصدوا تقريبها إلى اللَّهِ وشفاعتها عنده، فصرفوا لها العبادة، فهذا هو الشرك الأكبر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ[١] وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ[٢] بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ[٣]، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ» الحديث[٤].

القَاعِدَةُ الرابعةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

***

شرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه هي القاعدة الثالثة، وهي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، وذكر بعدها الرابعة: من القواعد الأربع التي من عَقلها وفهمها جيدًا، عَقل دين المشركين، وعَقل دين المرسلين، وعرف الفرق بينهما، وهي قواعد مهمة وواضحة، أوضح فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة الشرك، وحقيقة ما عليه المشركون، وأوضح فيها حقيقة ما دعا إليه النَّبِيّ ﷺ وما أرشد إليه، وما بعثه اللّه به.

فمن عَقلَ هذه القواعد الأربع، كما ينبغي عرف دين المشركين على بصيرة، وعرف دين الرسل على بصيرة.

وقد تقدَّمت **القاعدة الأولى**: في بيان أَنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، وأنَّهم لا ينكرون أنَّ الله هو الخالق، الرَّازق، المدبر، المحي، المميت، الرزَّاق للعباد، يعرفون هذا؛ ولهذا أقرُّوا به

لما سئلوا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] كما تقدَّم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

وبيَّن في **القاعدة الثانية**: أنَّهم يقولون: «ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة» ـ يعني: أنَّهم ـ ما توجهوا إليهم يعتقدون فيهم أنَّهم يخلقون ـ أو يرزقون ـ لا، يعرفون أنَّ الخلَّاق الرزَّاق هو الله؛ ولكن عبدوهم يرجوا شفاعتهم وقربهم، وتقريبهم إلى الله، يقول الله تعالى على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يُونس: ١٨].

هذا هو شركهم، يقولون: دعوناهم وتوجَّهنا إليهم ليقربونا إلى اللّه، ليشفعوا لنا عند الله، واللّه هو الرَّزاق الخَالق سبحانه وتعالى.

وأمَّا شرك المشركين المتأخرين، فشركهم دائم: في الرخاء والشدة، ومع الأنبياء ومع غيرهم، وبعضهم أشرك في الربوبية، واعتقد أنَّ بعض المشايخ، وبعض الصالحين يتصرَّف في الكون، يتصرَّف في النَّاس، هذا من سخافة العقول وضلال العقول، فصاروا أَسْفَهَ من المشركين الأولين، وأقلُّ عقلًا وأعظم شركًا.

تقدَّم تفصيل الشَّفاعة، وأنَّ الشَّفاعة شفاعتان:

شفاعة مرضيَّة وهي: التي يأذن الله بها ويرضاها كشفاعة النَّبيِّ ﷺ؛ لأهل الموقف حتى يقضي بينهم بإذنه سبحانه، وشفاعته في أهل التوحيد حتى يدخلوا الجنَّة بإذنه ورضاه سبحانه وتعالى(١).

وشفاعة باطلة وهي: الشَّفاعة التي يطلبها المشركون من غير اللّه يطلبونها من أتباعهم من الأنبياء، أو الصالحين، أو من الملائكة، أو من الجنِّ، أو من الأشجار، والأحجار، وهذه شفاعة باطلة، قال الله تعالى فيها: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافر: ١٨] وهذه شفاعة باطلة؛ لأنَّهم طلبوها من غير الله، وتوسلوا إليها بالشرك، فصارت باطلة.

ثم ذكر في **القاعدة الثالثة**: أنَّ النبي ﷺ ظهرَ في أُناسٍ شركهم متنوع، أقسام وأنواع: منهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الجنَّ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، فقاتلهم جميعًا ﷺ وقاتلهم الصحابة ،ولم يفرِّقُوا بينهم، وذكر الآيات الدَّالة على ذلك، مثل قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

فجعل عبادة الملائكة والأنبياء كُفْرٌ، وذكرَ في قصة عيسى والنَّصارى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: ١١٧].

وذكر في الأشجار والأحجار والصالحين كذلك: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النَّجْم: ١٩-٢٠] واللَّات: رجلٌ صالح، ومناة: حجر، والعُزَّى: شجرة.

والمقصود: أنَّ المشركين تنوعت عباداتهم لغير الله، منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد النجوم، ومنهم من يعبد الجنَّ إلى غير ذلك، فقاتلهم الرسول ﷺ وقاتلهم الصحابة رضي الله عنهم، ولم يفرِّقوا بينهم، فالشرك واحد، وإنْ تنوع المعبودون، فالذي يعبد الشمس، أو القمر، أو الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، أو النُّجوم، أو غيرهم، كلهم مشركون، سواء كان المعبود صالحًا أو جمادًا أو نبيًّا، أو ملكًا أو غير ذلك، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الحج: ٣٤].

فمن خالف هذه الآيات، وما جاء في معناها، فقد أشرك سواء فعل ذلك مع الأنبياء، أو مع الصالحين، أو مع الملائكة، أو مع الجنِّ، أو مع النجوم، أو مع الشمس، أو مع القمر، أو غير ذلك؛

ولهذا أنزل الله فيهم جلَّ وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ يعني: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالشرك: يطلق عليه فتنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ يعني: حتى لا يقع شرك باللَّهِ، ويكون الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، والاختلاف يُسمَّى فتنة، والمعاصي تُسَمَّى فتنة؛ ولكن هنا الفتنة الشرك بالله، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧]، يعني: الشرك.

فالفتنة: هي الشرك أكبر من القتل، كون الإنسان يقتل نفساً هذه جريمة عظيمة ومنكر عظيم؛ لكن كونه يشرك باللَّهِ أعظم من القتل، نسأل اللَّه العافية.

فدلَّ ذلك على أنَّ الواجب على ولاة الأمور أنْ يقاتلوا عُبَّاد غير اللَّهِ مطلقًا كائنًا من كان هذا المعبود، إذا د،عوا إلى اللَّه وأرشدوا، ولم يقبلوا وجب قتالهم مع القدرة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التَّغَابُن: ١٦] كما قال تعالى: وقتلوهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التَّوبَة: ٤١] ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠-١١].

وممَّا يتعلق بعبادة الأحجار والأشجار حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رضي الله عنه لَمَّا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَكَانُوا حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِالكُفْرِ

مَرُوا عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ سِدْرَةً وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا السِّلَاحَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا عُلِّقَ عَلَيْهَا يَكُونُ أَمْضَى وَأَقْوَى، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»[(١)].

فجعل طلب إيجاد شجرة تُعبد، مثل قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا، كما لهم آلهة، فإذا قال: نريد شجرةً نعبدها، أو حجرًا نعبده، أو قبرًا نعبده، نُعلق عليه السلاح، ندعوه نستغيث به ننذر له فهو مثل قول بني إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ وهذه قاعدة عظيمة مع القاعدتين السابقتين.

ثم أوضح في **القاعدة الرابعة** :أنَّ شرك الأولين أخفُّ من هؤلاء المتأخرين، فشركُ هؤلاء أعظمُ وأقبحُ، فالأولون شركُهم كان في الرخاءِ ويُخلصونَ في الشِّدَّةِ،أمَّا هؤلاء المشركون في غالب البلدان، شركهم دائمٌ ـ في الرخاء والشدة ـ، كَعُبَّاد البدوي، وعُبَّاد الحسين، وعُبَّاد الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم، شركهم دائمٌ في الرخاء والشدة.

فالواجب الحذر من شرك المشركين في الشدة والرخاء دقيقه وجليله.

وممَّا يدل على أنَّ المشركين يشركون في الرخاء دُونَ الشِدَّة، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: الباخرة في السفينة: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥] يعني: أخلصوا لِلَّه الدعاء يخافون أنْ يغرقوا في البحر، أو تنقلب السفينة وتغرق، فعند هذه يخلصون لِلَّه العبادة، فإذا نجَّاهم إلى البر وسَلِمُوا عادوا إلى الشرك نعوذ باللَّهِ،وفي الآية الأخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [الإسرَاء: ٦٧] وهكذا في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

هكذا حال المشركين عند الشدائد، يخلصون لِلَّه العبادة، ويعلمون أنَّه المنجِي في الشدائد، وأنَّه لا إله غيره، وإذا جاء الرخاء وقعوا في الشرك مع آلهتهم وأصنامهم.

أمَّا هؤلاء المشركون في أوقتنا هذه، فشركهم دائم، لا بصيرة عندهم، يعبدون غير اللَّهِ في الرخاء والشدة، ولا تمييز عندهم لضعف العقول وغلبة الجهل، نسأل اللَّه العافية والسلامة، وفق الله الجميع.

وصلى اللَّه على نبينا محمد على آله وصحبه وسلم.